ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة . الثمن : 3 دراهم

السنة 33 ـ العدد 922 الجمعة 11 ربيع الثاني 1421هـ ـ الموافق 14 يوليوز 2000م

عدد خاص

بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه

رسالة ملكية إلى المشاركين في ندوة «جلالة الملك الحسن الثاني: جهاد وأمجاد»

الحسن الثاني
بقلم الحسن بن محمد

كلمة العدد

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾

تحيي المملكة المغربية الشريفة ملكاً وحكومة وشعباً بالغ الخشوع وعظيم التأثر، وصادق الامتنان، وعميق المحبة الذكرى الأولى لوفاة باني المغرب الحديث المغفور له جلالة الحسن الثاني.

هذا الملك العظيم الذي قاد سفينة المغرب في بحر عالمي كثرت أهواله وتعددت شعاراته التي ناصبت العداء للمقدسات المغربية سواء الإسلام أو الملكية أو الوحدة الترابية، فكان رحمه الله اللسان الصادق المدافع عن تلك المقدسات في المحافل الدولية وحاميها داخل الحدود الوطنية. لقد نادى رحمه الله بالتعددية عندما كانت الموضة هي الحزب الوحيد، وقال بالإسلام عقيدة ومنهاجاً عندما قيل بأن الدين أفيون الشعوب، وأقام لذلك المعاهد والمؤسسات لإحياء علوم الدين وتجديد أمره، مشاركاً في إعطاء دروس الحديث من خلال الدروس الرمضانية التي تعد نموذجاً فريداً في العالمين حيث تجلس فيه النخبة الحاكمة برئاسة جلالته للاستماع إلى علماء الأمة في سابقة ليس لها مثيل. مقتديا بوالده المقدس في تربية ولي العهد على حب الدين والوطن ومكارم الأخلاق فكان خير خلف لخير سلف.

ماذا يقال عن جلالة الملك الحسن الثاني في ذكرى رحيله الأولى، وهو الذي جاهد شابا بجانب محرر الأمة جلالة محمد الخامس، فكان نعم المجاهد، وبنى المغرب بعد تسلمه عرش المملكة، فكان نعم الباني والرائد الذي لا يجوذ الزمان به.

لقد كافح الاستعمار وهو شاب يافع ودافع الإلحاد وهو عاهل للبلاد، وبنى السدود وصان الحدود، وأقام أركان الدولة الحديثة، وهيأ الخلف الصالح مثل ما فعل والده، فكان مثالاً يحتذى في حياته وبعد مماته.

كان جلالته من الذاكرين الله، الشاكرين له، فأراه جل جلاله من ايات نصره ما قرت به عينه، ونعمت به مملكته مما جعل الألسن تلهج بالثناء على منهاجه وتقتدي بأفعاله وتستشيره في كل جلائل الأمور الدولية والإقليمية.

لقد أدرك قادة العالم وشعوبها بعد نهاية الحرب الباردة أن للحسن الثاني مرجعية ربانية هي سبب رجاحة اختياراته وصواب نظره، فربطوا معه عرى التواصل، ووالوا زيارته والأخذ برأيه ولما اختاره الله إليه تقاطروا على بلادنا من كل حدب وصوب، لتوديعه والإعراب عن مشاطرتهم لأحزان الأمة المغربية ومساندتهم لولي عهده ووارث سره جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره الذي أثبت للعالم أنه من طينة الأشراف العلويين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم، فكان الدليل القاطع على أن العرش المغربي الخالد كالشجرة المباركة التي قال الله تعالى فيها : ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾.

ذلك هو الحسن الثاني الذي ستشغل منجزاته الأقلام والأفهام على مر الحقب والأزمان. تنهل من فيوض علومه وحكمته وبعد نظره ما يسدد الخطا وينير السبل في المجالات المختلفة.

فرحمة الله عليك ياعالم الملوك وملك العلماء، وأثابك على ما خلدت من الصالحات وأبدعت من المكرمات.

وسدد خطى خليفتك من بعدك ووارث سرك جلالة الملك محمد السادس وشد أزره بصنوه المولى الرشيد وسائر أفراد أسرته، وألف القلوب حوله، وجعله خير خلف لخير سلف، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ميثاق الرابطة

رسالة ملكية سامية إلى المشاركين في ندوة "جلالة الملك الحسن الثاني:حياة وأمجاد"

وجه صاحب الجلالة الملك محمد السادس رسالة سامية الى المشاركين في الندوة الدولية التي نظمتها جمعية رباط الفتح بالرباط ما بين سادس وثامن يوليوز الجاري في موضوع "جلالة الملك الحسن الثاني:حياة وأمجاد:.

وفي مايلي نص الرسالة الملكية التي تلاها صباح أمس في افتتاح أشغال هذه الندوة السيد محمد معتصم مستشار صاحب الجلالة:

❑ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السيدات والسادة

يطيب لنا أن نبارك هذه المبادرة الطيبة لجمعية رباط الفتح التي أبت الا أن تخلد الذكرى الاولى لوفاة المشمول بعفو الله ورضوانه والدنا المنعم جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه وأكرم مثواه. الذي مازالت مآقينا لم تجف من الدموع على فراقه ومازالت قلوبنا وقلوب شعبنا والهة إثر رحيله الذي لاراد لقضاء الله فيه. وإن روحه الطاهرة لترفرف علينا وعلى افئدة شعبنا وعلى ربوع مملكتنا التي كرس -قدس الله روحه- حياته للذود عنها واستكمال وحدتها وإحلالها المكانة الائقة بها بين الأمم المرموقة والدول المتقدمة.

ولا يخامرنا شك في أن هذه الندوة الدولية عن حياة هذا الملك العظيم وعن سيرته الرائدة وامجاده الفاخرة ومنجزاته العظيمة ستساهم في استجلاء الكثير من المناقب التي تحلى بها واستحضار العديد من الخصال والفضائل التي ازدانت بها سيرته العطرة. فقد كان رحمه الله منبعا للمكرمات لا ينضب له معين ومنجما للفضائل لاينفذ له مدد، بيد ان الاهم من استحضارنا اليوم هذه الذكرى لهو بالتأكيد العمل على استخلاص العبر من حياته المجاهدة وسياسته البناءة وقيادته التي تحدث الصعاب وتغلبت على المشكلات بفضل سياسته الحكيمة وصموده الراسخ وتعلقه بحب شعبه والتفاني فيه بقدر ما كان لهذا الشعب من تعلق بالعرش وولاء ووفاء للمتربع عليه.

لقد كانت حياته خالدة بمآثرها ومنجزاته التي نعيش اليوم نتائجها ونسعى لمتابعتها. ففي كل فن من فنون الحكم والتدبير كان له -رحمه الله-باع طويل ودراية واسعة وحدس قل نظيره مما بوأه مكانة متميزة بين قادة العالم جعلت منه منارة إشعاع يهتدي بقبسها في كل أمر صعب أو نازلة مستجدة سواء بالنسبة للقضايا الوطنية أو بالنسبة للشؤون الدولية.

لقد ظل طوال حياته رائدا ملهما وقائدا حكيما لا يدخر وسعا في إسعاد أمته والتجاوب مع مطامحها وتطلعاتها مسلحا بالحكمة والاعتدال وبمنهج التوافق والحوار حريصا على القيام بأعباء مملكته يدير شؤون الدولة بروية وتبصر ونزاهة وتدبر وفق سياسة واضحة تستمد نقاءها من إيمانه العميق بقيم الاسلام المثلى وسماحته ونبل مقاصده فكان أميرا للمؤمنين ساهرا على حماية الملة والدين حريصا على رأب الصدع وجمع الكلمة وتوحيد الصف سواء تعلق الأمر بأمته أو بالأمة الاسلامية جمعاء.

كما خلف رحمه الله بصمات عبقريته على مسار المغرب المعاصر بما حققه له من منجزات ومسيرات سارت بذكرها الركبان ولهج بالثناء عليها كل لسان. فقد أبدع وجدد في كل مجال وقاد المسيرات في ميادين الاصلاح البنيوي والمؤسساتي وفي مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية بما اقامه من مؤسسات ديموقراطية وأشاعه من ممارسة للحريات العامة ومن حقوق الانسان عاملا على تحفيز الحياة الثقافية في المغرب وتشجيعها على الابداع فكرا وعمرانا وتشييدا وبناء متوخيا في ماباشره من هذه المنجزات تجسيد الهوية المغربية وتنمية الطاقات البشرية والحفاظ على التراث المغربي في تناسق تام بين مقومات الاصالة ومتطلبات المعاصرة.

وقد ترك -طيب الله ثراه- لأبناء هذا الوطن الغالي إرثا زاخرا بالقيم والمثل العليا في الثبات على المبادئ واسترخاص الغالي والنفيس في الدفاع عن الوطن وكرامة المواطنين ووحدة التراب.

كما كان صادق الحدس ملهم الفكر في الأخذ بالخيارات الناجعة والمناهج الفعالة في تنمية المجتمع المغربي وتفعيل طاقاته بتشجيع المبادرات الحرة في مناخ من الحرية والديموقراطية والتعددية والوعي بالمسؤولية. لقد ترك لنا هذا الارث القيم لنستنير به ونسير على هديه واثقين من مقومات حضارتنا ومن أمجاد تاريخنا وشموخ وطننا الذي ظل صامدا في وجه الاحداث والتقلبات متفاعلا مع الثقافات والحضارات مستقرا في أمنه آمنا في سربه متطلعا في كل مرحلة الى ما هو أفضل وأسنى وذلك بفضل تلاحم العرش بالشعب في ولاء متبادل وبيعة قائمة على كلمة التقوى.

وفي ظل هذا الجو الشائع الذي نستحضر فيه ذكرى فقيدنا العظيم وروحه تظللنا نستشعر بكل خشوع وإجلال وتنويه وثناء ماتعهدنا به -رحمه الله- من حدب وعطف وتولانا به في تكويننا وتربيتنا وإعدادنا للقيام بالأمانة العظمى لقيادة شعبنا من عناية فائقة وإنعام سابغ ومحبة مثالية ما لايمكن التعبير عنه في هذه اللحظة الموثرة الخاشعة. فقد كان بالنسبة لنا فضلا عن الاب الحنون والوالد العطوف والمربي المثالي مدرسة فذة في الوطنية الصادقة والقيادة المتفانية في خدمة الوطن والمواطنين ضاربا أروع الامثلة في هذا المجال.مما جعلنا نتخذه قدوة ومنارا في كل ما نخوض غماره من شؤون النهضة ببلدنا والعمل على إسعاد مواطنينا. ولم يفتأ رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء ونحن نعمل الى جانبه وننهض باعباء مايكلفنا به يقدم لنا الوصايا والتوجيهات ويشق لنا الطريق في مدلهم القضايا والمشكلات. ومن هذه الوصايا والتوجيهات استلهمنا بعده العون على القيام بما القاه الله على كاهلنا من أمانة عظمى ومسؤولية عليا. فصممنا العزم على متابعة المسيرة البناءة التي يخوضها المغرب اليوم في توافق وحماس والتحام بين العرش والشعب مسيرة التنمية الشاملة وترسيخ دولة الحق والقانون وبناء المجتمع المتضامن.

فلنظل أوفياء جميعا لهذا الارث الحسني الخالد ولنحافظ عليه حتى نشيعه بدورنا بين الأجيال الصاعدة كما أشاعه لأنه إرث مستمد من شخصيتنا المغربية ومن مقومات تاريخنا وأصالتنا الوطنية. وبقيمه المثلى سنتمكن من الحفاظ على هويتنا وعلى تماسكنا ووحدتنا في عالم يمور بالتقلبات وتتراجع فيه القيم أمام شتى التحديات.

أيها السيدات والسادة:

لاشك في أن تخليد ذكريات قادة الأمة واعلامها سلوك حضاري وثقافي عظيم الاثر يربط الماضي بالحاضر ويؤسس للمستقبل في ضوء تجربة الحاضر وعبرة الماضي. وهو الأمر الذي لا يجعل الأجيال المتتالية تعتز بأمجادها وبطولات قادتها فقط وإنما تستوحي من مناقبهم المثل والمبادئ وتتخذ منهم القدوة الصالحة وتحفزهم على الاضافة والجمع بين الطارف والتليد والاصيل والجديد.

وهذا من شأنه أن ينمي لدى أجيالنا الشعور بالوطنية والاعتزاز بالانتماء الوطني ويحثها على مواصلة البناء. اذ بدون هذه القيم الوطنية لاينهض بناء ولايستقيم تضامن ولاتتواصل تنمية.

لقد وفقتم-رعاكم الله-الى اختيار هذا الوعد الاحتفاء بذكرى الراحل العظيم الذي كان رمزا للجهاد الوطني ولترسيخ القيم الوطنية لمولانا الحسن الثاني أحسن الله مثواه وطيب ثراه مساهمين بذلك في تخليد شعبنا لهذه الذكرى من أجل التواصل مع روحه الطاهرة عبر استحضار مناقبه وخصاله وآثاره ومنجزاته.

وهذا ما نود أن ننوه به مباركين مسعاكم داعين لكم بالتوفيق والسداد".من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"صدق الله العظيم. ❑

مختارات من خطب جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني

نص الخطاب الذي ألقاه سمو ولي العهد مولاي الحسن- جلالة الحسن الثاني- عند وضع الحجر الأساسي لبناء المدرسة المصلى بطنجة

21 جمادى الأولى 1366 | 12 أبريل 1947

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

مولاي الهمام الأكرم إنني لأحس بنفسي اليوم وأنا في هذا الوسط الطنجي النبيل تنتقل إلى ذلك العهد الجليل في العصر العظيم، عصر جدنا المقدس مولانا إسماعيل فأرى وجوه أسلافنا مستنيرة باسمة وجباههم بارقة مستبشرة، بما قام به ذلك البطل العلوي العظيم، من تجديد لوحدة المغرب واسترجاع لمناطقه التي مزقتها الفوضى، وعبثت بكيانها الأغيار، وأرى عين ذلك البطل قارة هادئة، ونفسه مطمئنة راضية، ومن حوله الشعب المغربي كله شاكرا نعمة ربه، فخورا بالملك وعمله، طامح لمواصلة السعي في رضاه ومن أجله، ذلك يامولاي ماهز روحي الآن، ومانقلها لذلك العصر القديم.

ليوم كنا والشعب وفق رضانا
في نعيم وسؤدد وفخار

حينما رأيت جلالتكم والمهابة تكلؤكم، والعناية الإلاهية ترعاكم في هذه المدينة المغربية الخالدة، تعملون لما عمل له جدكم الأكبر، وعاهلنا العظيم، المولى إسماعيل، وحينما رأيت هذه الوجوه الشعبية ضاحكة مستبشرة، مغتبطة فاخرة، تهتز مشاعرها لرؤيتك، وتترنح طربا وسرورا لمشاهدتك، وكلها آمال فيك، وتعلق بك، واستمساك بعرشك، واعتصام بملكك، أفلا يحق لي وأنا أول رعاياك، أن أكون المعبر الصادق عما يختلج في نفوس هذه الجماهير من حب وولاء وإخلاص ووفاء، لشخصكم المحبوب وعرشكم المفدى بالمهج والأرواح، ثم ألا يحق لي وأنا ثاني المواطنين، أن أحمد الله على هذه النعمة التي أولاها لنا مولانا. إذ جعلنا حولك موحدين، وبفضلك مهما تفرقت الاعتبارات الزمنية مجتمعين، وإذ أخذنا نرى بك يامولاي آمالنا تتحقق، وأعمالنا الإصلاحية توجه و تنسق، فسر بشعبك الوفي يامولاي إلى الأمام، فأنت رمز بقائه، وعنوان ارتقائه، وكل أبنائه بك مقتدين وأنت الإمام.

سادتي الأماثل:

إن فضل مولانا على هذه البلاد لا يوصف ببيان، ولايخط ببنان، ولقد سارت بذكره الركبان، وتحدث بذكره القاصي والدان، وقد رأى جلالته أن الحالة التي وصلت إليها هذه المملكة الشريفة من التأخر في مسالك الأقوان، والسير على منوال مثيلاتها من الممالك والبلدان، حتى وقعت في مأزق حرج، وموقف صعب، إنما هو ناشيء عن تقصيرها فيما بذل فيه من الجهد غيرها، وعرف جلالته أن هذه الأمة التي كان لها من الماضي السعيد، والتاريخ المجيد، ما بزت به أقرانها وفاقت به من عداها لا يمكن أن تظل في حالة متأخرة ودرجة منحدرة، ولذلك شمر عن ساعد الجد ونادى شعبه الكريم أن هيا للنهوض هيا إلى المعرفة، فإنه لا حياة إلا بالعلم، ولا تقدم إلا بالجد، وانه لا خوف على من تأخر، متى بدأ في السير، وإن يد الله مع الجماعة، وتعاون الأمة يوصلها لما تشاء من أماني، ولم يقتصر سيدنا نصره الله على تلك الدعوة حتى أعطى من نفسه الكريمة أحسن قدوة، فلم يأل جهدا في تربية بنيه وبناته، وسائر أقربائه، حتى كون منا المثال الحسن، والمنهج المحتذى، وفتح بنفسه المعاهد العلمية في سائر الجهات الحضرية والبدوية، وشجع العاملين من أوفياء رعيته بما بذله لهم من العون، وماساعدهم به من الإسعاف، حتى أخذوا ينهالون على أبوابه الكريمة متنافسين على العمل لصالح الأمة وإسعادها،وإن الكل ليعلم تلك الأيام والليالي التي شرفها سيدنا بنفسه أو كلفني أعزه الله بالنيابة عنه فيها، أو عهد لأختي للا عائشة بترأسها في مختلف النواحي المغربية.

ومنذ أمد طويل وسيدنا نصره الله يريد أن يعمم تشجيعه وإرشاده حتى لا يبقى في المغرب جانب إلا ويصيبه من عمله نصيب، وهو أعزه الله لا يكتفي في ذلك بالرسائل والتوجيهات التي ما ينفك يبعث بها من قصره العامر، بل يريد أن يتعرف بنفسه لسائر رعيته ويمدها بماله ومقاله، ويسعدها بحله وترحاله، ولقد خطا المغرب خطوات بعيدة المدى إلى الأمام، وتقدم تقدما ملموسا في كل الميادين تقدما لفت أنظار الأمم، وسر الشعوب العربية المسلمة التي رأت فيه بوادر انقضاء عصر الخمول، وابتداء عهد الازدهار والرقي، واستعداد المغاربة للقيام بواجبهم نحو دينهم الحنيف الذي بتعاليمه الطاهرة ساد سلفهم الصالح وشاد أجدادهم مدنيتهم الرفيعة، وحضارتهم الشامخة، كما بها انبثق فجر النهضة العربية التي تسهر عليها وتنظمها وتغذيها الجامعة العربية، تلك المنظمة النشيطة التي يتتبع أبناء العروبة أعمالها بإعجاب وتقدير وتحبيذ وتنويه، ويعملون على لم شعث الأمة العربية المستيقظة، ومختلف شعوبها التي تناضل لتوحيد صفوفها، وتمتين عرى تعاضدها. ولقد عمل سيدنا في هذا السبيل بكل ما أوتي من عزم وحزم فائقين، فإذا ما توجه لناحية ظنت أنها أحب الجهات إليه، وأقربها منه، وهاهو، ذا اليوم، يحقق أمنيته وأمنية الأمة جمعاء، بهذه الزيارة السعيدة لمدينة طنجة التي لم تسمح ظروفها الخاصة بزيارة سلفه لها منذ عهد غير قصير، وإن في ذلك لعبرة، وذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد. وإني لا أشك في أن مواطنينا الطنجيين يحسون اليوم مثلنا جميعا، مع الشعب المغربي كله بقيمة هذه الرحلة التاريخية ورمزها البعيد، ويقدرون العطة البالغة التي يعطيها العرش المغربي وملكه الهمام، وإن وحدة المغرب التي لم تزدها مختلف التدابير إلا ثباتا ورسوخا في نفوسنا، لمدينة للعرش بما لاتدين به إلا لما يملأ جوانحنا نحن المغاربة من مغربية صميمة، وعروبة متينة، وتمسك بالحنيفية السمحة وأخلاقها الفضلى. وإن شيئا وصله الله لا يمكن أن ينفصم، وعقدا دعمه الحب لا يمكن أن ينمحي.

ولقد أراد سيدنا نصره الله أن تكون لهذه الزيارة الشريفة ذكرى حسنة فأمر بتأسيس هذه المدرسة التي يضع جلالته حجرها اليوم في هذاالحفل الذي شرفه برئاسته ورعايته، وهو لايقصد من ذلك إلا تشجيع العاملين من أبناء مملكته، وإذكاء الغيرة في نفوس الجميع حتى يتنافس الطنجيون مع إخوانهم البيضاويين والرباطيين والفاسيين والمراكشيين وغيرهم في بناء صروح العلم، وتشييد معاهد العرفان، ويتحدوا جميعا في مقاومة الجهل الذي هو العدو الألد لكل يقظة وانتباه، ولهذه المدينة الحق من أن تتبوأ مكانتها في صفوف أخواتها في حواضر المغرب، فتعطي للنهضة المغربية الحديثة في جميع الميادين أشخاصا جديرين بتاريخها المجيد، وما أنجبته من رجال، ناهيك أن يكون من بينهم ابن بطوطة أول رحالة عالمي جاب الأقطار القصية، وتحدث عن الأماكن الخفية، وبذلك يتم ربط الماضي بالحاضر في العمل على بناء المستقبل الزاهر بإذن الله. وإن سيدنا نصره الله حين يضع الحجر الأساسي لهذه المدرسة، وكون لجنة خاصة للإشراف عليها، وجمع الاكتتابات اللازمة لها بعد أن افتتحه بقدر وافر من ماله الخاص، ليهيب بسائر سكان هذه المدينة ليساعدوا هذه المؤسسة على بروزها كما فعل غيرهم في مثيلاتها بسائر أنحاء مملكته السعيدة.

سادتي الكرام.

لا يسعني أن أختم هذا الخطاب دون أن أنوه بالعاملين على تشييد هذه المدرسة والمنظمين لهذا الحفل البهيج، ودون أن أتناول بالشكر ممثلي الدول الذين أبوا إلا أن يعربوا عن عواطفهم بحضورهم في هذا المجتمع السعيد.

وأخيرا نسأله سبحانه أن يسدد خطانا، وأن يوفقنا لما فيه خير ديننا ودنيانا، والسلام عليكم ورحمة الله.

خطاب صاحب السمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن نيابة عن جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه

19 جمادى الأولى 1366
10 أبريل 1947

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. قضت سنة الله التي لا تبديل لها، أن تدول الدول، وأن تتعاقب الشعوب على قمة المجد، تتبوؤها حينا من الدهر، تستولي عليها بعده سنة من الركود والخمول، ثم لا تلبث تحت تأثير ملوكها العظام، وقادتها الأفذاذ، أن تستعيد حيويتها ونشاطها. ولقد عرف مغربنا العزيز، كلتا المنزلتين، فذاق نشوة الفخار وتمتع بنعيم النصر، وباهى بعنفوان القوة كما أحس بألم التقهقر، وشقي بخيبة الأمل، وابتلي بحسرة الضعف وهاهو اليوم، يستعد تحت قيادة ملكه العليا، لاستئناف تسلق الجبل وخوض معركة الحياة وإحراز قصبة السبق، ولقد حبا الله ملكه من العبقرية والحنكة، وبعد النظر والحلم والأناة، ماوسع كل رعاياه، فصار لهم أبا رؤوفا، إليه يهرعون، وبإرشاداته يهتدون، وبحسن توفيقه يثقون.

إن في تربعه على العرش العلوي الماجد، وحنوه على طبقات الشعب المتفاني في محبته، وتقويمه لما اعوج من سيره، ومواساته لما ألم به لضمان النجاح، ودليلا على أن عصر الانحطاط قد انقضى وانصرم، وأن عهد النهضة والازدهار قد أقبل، فلتدم الجلالة الشريفة ترعاها العناية الإلهية، ويلهمها الباري جل جلاله من القوة والعزم ما يعينها على تأدية رسالتها، ويحيطها المغاربة بمحبتهم وإخلاصهم وجميل اعترافهم.

أيها السادة:

إن المدارس أفضل بقعة يختارها الرجال للتمهيد للعمل - ولوضع الخطط واتخاذ الوسائل - إذ المدارس مصابيح البلاد، منها يقتبس الشعب ذلك النور الروحاني الذي يغمر الأذهان، ويضيء طريق الحياة، ويفتح الأعين فتقوى على رؤية الحقيقة وتميز الحق من الباطل، وتفضيل الخير على الشر.

لقد أتى على المغرب حين من الدهر انطفأت فيه مصابيحه، فساد الظلام، وتعطل السير، وضل الناس السبيل، وعجزت بصيرتهم عن تبين الهدف الأسمى، فأمسوا حائرين تتلاطمهم الأمواج وتتلاعب بهم الأهواء، حتى كاد اليأس يستولي على النفوس، ولكن ماكان الله ليعرض عن عباد برحمته متشبثين، من روحه لم ييأسوا وعن الثقة بالعمل ما تقاعسوا، ففيض لهم جل جلاله في فجر نهضتهم، ومبدأ انبعاثهم ملكا كملت فيه خصال المؤمن الواثق والمسلم العامل والمغربي الأبي ونضجت فيه مميزات الأب العاهل العطوف والسياسي المحنك والمصلح الخبير ملكا أخذ من تراثنا الفكري كل ماكان سببا في ترعرع مدنيتنا وازدهار حضارتنا، واستمد من العلم العصري ما يؤهل الأمة المغربية لتبوء مكانها الممتاز بين الأمم ورفع رأسها عاليا بين الدول، ملكا امتلأ قلبه ثباتا ويقينا فما حلت ذاته الكريمة بين قوم إلا وجاش صدرهم بالحماس وتبدلت نظرتهم إلى الحياة وانقشعت عنهم دياجير الهوان والخمول ملكا حملت يمناه مشعل الثقافة الحقة فما فتىء ينقله بين أطراف مملكته من ناحية إلى ناحية ومن مدينة إلى أخرى يوقد به نور ما انطفأ من مصابيح العلم، ويذكي ضوء ما خفت منها.

واليوم قد جاء بعد طول الانتظار، وعظيم الاشتياق دور طنجة، تلك المدينة المغربية الجميلة، التي رغم ما توالى عليها من التقلبات، ومارأته من الحوادث والتغيرات أبت إلا أن تحتفظ بصبغتها المغربية، وطابعها الإسلامي، ومركزها العظيم في تراب الدولة المحمدية المنيفة.

فإذا زارها اليوم صاحب الجلالة ملك المغرب، فما زيارته لها إلا تقديرا لتشبث أهلها بالعرش العلوي الماجد، وتشجيع لرجالها المخلصين الذين شمروا عن ساق الجد للعمل، وإحياء بها لمعاهد العلم الذي كاد ينضب معينه، وإعدادها لأخذ نصيبها من ذلك البرنامج الإصلاحي الشامل الذي وضعه جنابه الشريف للنهوض بالشعب المغربي من كبوته وإيقاظه من غفلته، ذلك البرنامج الذي تتخلص فصوله في كلمات ست: إسلام وعروبة، علم وعمل، وحدة وتعاضد.

فالإسلام ديننا وسر قوتنا، ومنبع سعادتنا، وإذا كان المسلمون في مشارق الارض ومغاربها، ذاقوا بالرغم عن انتسابهم للحنيفية السمحة، مرارة الضعف وأنواع الشقاء، فما ذلك إلا لأنهم لم يحتفظوا من الدين إلا بأعراضه ومظاهره، أضاعوا جوهره وحقيقته، وتركوا الخرافات والأوهام تنسج عنكبوتها على صرح الاسلام العتيد، فمازالت تعمل فيه عملها حتى أتى يوم صار المسلمون فيه أبعد الناس عن الإسلام، فتعددت بينهم الفرق، واختلفت الوجهات ونمت البدع.

ولقد قام في الشرق رجال الإصلاح بواجبهم في النداء إلى الرجوع إلى حقيقة الإسلام، ونهض سيدنا أعزه الله في وطننا المغربي بعبء رد الدين إلى سماحته وصفائه وطهارته الأولى، فصدرت ظهائره الشريفة تقطع على البدعة طريقها وتوقف المشعوذين والدجالين عند حدهم، وتدعو الناس إلى السير في الطريق المستقيم طريق الله العزيز و سنة رسوله العربي، فبهما تمسكوا وعلى هديهما سيروا، إذ هما أسس يقيننا، ودستور تقدمنا.

أما العروبة فهي موطننا، ولغتها ركن من أركان قوميتنا، وأبناء شعوبنا أشقاؤنا، بها نفتخر، وعلى لسانها نحافظ، وإلى أخوتنا من أبنائها نحن. ولقد ساهم صاحب الجلالة أيده الله في تمتين عرى العروبة بين رعاياه بما أحياه أو ينوي إحياءه من آدابها وتاريخها وتطورها، وما يؤمل ربطه من صلات علمية وثقافية واجتماعية مع مختلف مراكزها،وأما العلم فيه يعلو قدر الرجال،ويرتفع مستوى الأمم ويتسع الفكر، ويتحرر من التعصب الممقوت، ويشرف على منهل الحقيقة الخالدة، الواحدة بالرغم عن تعدد الطرق الموصلة إليها.

ولقد هيأ ملك المغرب أعزه الله لكل من هاته الطرق ما يضمن لها العمل في تؤدةواطمئنان فجدد للعلوم الدينية والعقائد الإسلامية شباب الجامعتين التاريخيتين العظيمتين جامعتي القرويين وابن يوسف كما أسس بجل مدن مملكته معاهد تهيىء الشبيبة للانخراط في سلكها غير أنه لم ينس ما تستلزمه الحياة الجديدة من العلوم العصرية والمعارف الفنية التي بدونها لا يمكن لأمة أن تحصل مركزا مشرفا في سلم الحضارة والرقي فشمل بعطفه ماكان موجودا من المدارس العصرية الحرة وأمربتشييد عدد آخر منها في مختلف الحواضر والبوادي منفقا عليها من ماله ومتفقدا لها بنفسه وضاربا بعمله هذا المثل لأغنيائنا وسراتنا عسى أن يقتفوا أثره ويحذو حذوه وسيدنا نصره الله مقتنع بضرورة وضع نظام إجباري للتعليم ولا يؤخره عن الأمر بتطبيقه إلا ما يتطلبه ذلك من مئات المدارس وعشرات المئات من المدرسين الذين لا زال يجد في تخريجهم وإعدادهم للقيام بمهمتهم وذلك يستدعي حقبة من الزمن قد تطول أو تقصر بحسب ما يبذله طلبتنا من الجهود وما تبديه شبيبتنا المثقفة من استعداد للمساهمة في تحقيق هذا المشروع الجليل.

ومن هذه الشبيبة اختار سيدنا وفدا أرسله على نفقته إلى مختلف كليات فرنسا ليتخصص كل منهم في علم من العلوم العصرية من طب وقانون وهندسة وغيرها. هذا قليل من كثير أعمال عاهل البلاد في سبيل إنقاذ شعبه من الجهالة وبث روح الحياة والعزم في نفوس أفراده فهلا اتخذناه،جميعا، قدوة حسنة نقتدي بها ومثلا أعلى نجعله نصب أعيننا عند الشروع في إنجاز مشاريعنا وهلا تخلينا عن لغو الكلام وقضينا على كل مامن شأنه أن يبعثر جهودنا ويوهن قوانا.

إن ما نصبو إليه يتطلب وحدة وتعاضدا بين مناطق المغرب، لكي يجتمع للمغاربة شملهم وتتحد وجهتهم، وحدة وتعاضدا بين علماء الشيوخ، ومثقفي الشباب حتى نحتفظ من القديم بكل مفيد، ونأخذ من الجديد كل نافع، وحدة وتعاضدا بين مختلف طبقات الأمة، فقيرها وغنيها، عسانا نكفي رؤية تلك المشاهد المؤلمة من شيوخ عداة جائعين، وأطفال مشردين تعسين، نساء محرومات يائسات.

وحدة وتعاضدا بالاخص بين أفراد نخبتنا العاملة، حتى نسير على هدى من الله وبصيرة.

أيها السادة :

هذه نظرة عجلى ألقيتها أمامكم على البرنامج الملكي للإصلاح المغربي، ذلك البرنامج الذي جئت اليوم بالنيابة عن سيدنا نصره الله أطبق أحد بنوده، بتعهد هذه المدرسة، وتشجيعها بمنحة نقدية من حر ماله.

وبتهنئة مديرها الحازم على أعماله المفيدة.

فلندع الله، جميعا، أن يحفظ ملكنا وسيدنا حتى يرى محققا في مملكته وبين رعاياه كل مايريد لهم من سعادة ونهضة وتقدم ورقي، وحتى يقود بحكمة ومهارة سفينة المغرب آمنة مطمئنة إلى شاطئ النجاة.

ولنهتف، جميعا، وليحي الإصلاح الملكي.

خطاب جلالة الملك بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة

الخميس 24 يناير 1974

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

أبيت إلا أن ألتقي بك مرة أخرى بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة، حتى أبلغك تمنياتي وتهنئتي الخالصة، راجيا من الله سبحانه وتعالى، أن يجعل من السنة التي نحن على أبوابها سنة يمن وسعادة ورخاء.

في الصحيحين عن النبي،صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

شعبي العزيز:

كثيرا ما تكلم المفسرون والمؤرخون والفلاسفة عن الهجرة ومعانيها، وليس في مطمحي أن آتي بشيء جديد ولا في إمكاني أن أقول ما لم يقل، إلا أنني حاولت أن أستنبط من الهجرة بعض الأفكار التي تساير جيلنا وتخامر أفكار إخواننا، فوجدت أن في الهجرة ألوانا وأصنافا كثيرة من الاستراتيجية السياسية والعقائدية، تلك التي يتبجح بها المتبجحون ويتمشدق بها المتمشدقون، وتيه فيها أفكار شبابنا وشباب المسلمين كافة، ناسين وغافلين أن في الإسلام ضالتهم المنشودة، وفلسفتهم المقصودة، ذلك أن النبي،صلى الله عليه وسلم، لم يكن، فقط، مصلحا ولم يكن، فقط، نبيا كالأنبياء ولا رسولا كالرسل، بل أعتقد، شخصيا، في نفسي أنه كان بالمعنى السياسي والفلسفي الحديث ثوريا، فإذا كنا نرى ذلك في ما أتانا به من القوانين والمعاملات، وإذا كنا نرى ذلك في أساليبه التعليمية والتلقينية، وإذا كنا نرى ذلك في معاملته للأجانب ملوكا ورؤساء وللأسرى والأعداء، نرى حتى في أسلوبه – والهجرة هي أول أسلوب – وفي شكله كان ثوريا بالمعنى الصحيح.

في إمكان الله – سبحانه وتعالى – أن يغلبه على قومه، وأن يؤتيه النصر والفتح، فيبقى النبي، صلى الله عليه وسلم، في مكة حتى يستتب الأمر وينتشر الاسلام، ولكن النبي، صلى الله عليه وسلم، أبى إلا أن يهاجر إلى المدينة، فاختارها لسببين:

السبب الأول: أنه طبق ما قاله ماوتسي تونغ: الآن المبدأ، أنه لابد لكل خالق ومنشىء أن يجد نفسه في الوسط الذي يعيش فيه، كما يجد السمك نفسه في الماء، فينظر حوله فلم يجد إلا المدينة قريبة منه حيث يسكنها يهود ولكن موحدون، إذا اختار قبل كل شيء عالما موحدا.

ثانيا: وهاهي النقطة الثورية الثانية، اختار دينا أصيلا مشروعا، لأن كل ثورة لاتنتمي إلى مشروعية تاريخية ثورة لا تنجح، لذا نرى القرآن يؤكد مرات ومرات صلة الإسلام بابراهيم، ولذا نرى النبي، صلى الله عليه وسلم، ينازع النصارى، وينازع اليهود في القرابة من ابراهيم، ويؤكد أنه أقرب الناس لابراهيم، وهاهو بهذه الهجرة طبق مبدأين أساسيين من الاستراتيجية، التاكتيك والأسلوب. إنه بحث عن مجموعة بشرية يجد نفسه وسطها ولو في أول الأمر كما يجد السمك نفسه في الماء، فبحث عن مجتمع موحد، لأن مكة مشركة. وأيضا، ما هو ذلك المجتمع؟

هو المجتمع الذي ينتمي أكثر من المجتمعات الأخرى إلى إبراهيم، إلى الأصالة، كان في إمكانه أن يذهب إلى الحبشة، موحدو الحبشة نصارى، ولكن النصارى قد أغفلوا عن الانجيل.

وهكذا، شعبي العزيز،بعد هذه الملاحظة العابرة، أبيت إلا أن أقول لشبابنا، لمن يعاصرنا الآن، ولمن هو في الدراسة الثانوية أو العليا إن النبي،صلى الله عليه وسلم، والدين الاسلامي والسلوك النبوي، كل هذا لا يحتاج إلى دروس من الخارج، يحتاج إلى شيء من التفكير البسيط، ويمكن، إذ ذاك، لكل مغربي ولكل مسلم أن يعطي للينين ولماوتسي تونغ ولأي أحد من القادة السياسيين واعلام المفكرين دروسا في الجوهر وفي الأسلوب.

إن كل سنة تمر شعبي تخلف من ورائها منجزات وأغلاطا،ولسنا هنا في موقف الحساب والمحاسبات، إلا أننا نريد أن نقول بكل تواضع– وجميعا أنت ونحن– ان السنة المنصرمة كيفما كانت أغلاطها وكيفما كانت ثغراتها كانت سنة مليئة بالمنجزات مليئة بالخطوات، منها ما نفذ تماما ومنها ماهو في حيز التنفيذ، ومنها ما وضع له تصميم محكم حتى يصبح شيئا واقعيا في هذه السنة.

كلمة ملكية بمناسبة تقديم التهاني إلى جلالة الملك بعيد الأضحى المبارك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

أصحاب السعادة السفراء المعتمدين لدى جلالتنا

وزراءنا الأمجاد

ضباطنا الأوفياء

حضرات السادة

إننا لندعو الله، سبحانه وتعالى، من صميم الفؤاد أن يهدي البشرية سواء الطريق، وأن يجعل من تلك البقعة الطاهرة بقعة الشرق الأوسط وأرض فلسطين، خاصة، التي كانت، دائما، منبع الرسالات وموطن الأنبياء أن يجعلها مرة أخرى كما كانت جنة خضراء يانعة يتمتع فيها أهلها بحقوقهم كاملة غير منقوصة.

هذا ولا يمكننا أن نحتفل بعيد أو يطمئن لنا بال ما دمنا غير مطمئنين على إخواننا الفلسطينيين الذين شردوا من أوطانهم وحتى يجدوا مأوى لهم في الكرامة والعزة، كما نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعجل بإجلاء قوات الاحتلال الغاشم عن التراب العربي المحتل، ذلك التراب الذي تجلت في الدفاع عنه وعن كرامته وحدة الصف الإسلامي، وبكيفية عامة، وحدة صف جميع الدول ذات النيات الحسنة والمثل العليا.

شعبي العزيز

إننا باحتفالنا بهذا العيد نطوي صفحة من صفحات أيامنا، ذلك أننا نستقبل سنة جديدة ميلادية، وإنك، شعبي العزيز، لتعلم ماينتظرك من مشاكل من جهة ومن متاعب ومن بشائر الخير.

عليك، شعبي العزيز، أن تعلم أنك مطالب هذه السنة أكثر من التي سبقتها بالجد والاجتهاد، مطالب بالانكباب على المشاكل الحقيقية حتى يمكن لبلدنا أن يثب وثبته، تلك الوثبة التي ستجعله في مصاف الدول المتقدمة، عليك أن تعلم، شعبي العزيز، أن الله وهبك وسائل، إلا أن هاته الوسائل لا تستثمر إلا السواعد وبالأفكار وبالابتكارات، وهذا كله موكول إليك، وموضوع على كتفيك، ومعهود به إليك، وأملي شعبي العزيز، أن تزداد أواصر الأخوة بين صفوفك.

شعبي العزيز

أملي أن تعلم أكثر من ذي قبل أن الوحدة: وحدة الصف والتئام الشمل وجمع الكلمة كانت ولا تزال السر الوحيد لإنجاح كل عمل عملاق مثل العمل الذي نريد أن نقوم به وننجزه، وهذا يستوجب من الجميع شيئا من المرونة في التفكير وحسن الإرادة حتى يمكنه أن يواصل الخطى فيصل ويدرك الهدف الذي يريد أن يصل إليه، وهذا يتطلب، كذلك، وعيا صادقا بالواجب الوطني، كما يتطلب وطنية غيورة لا تقبل أية مهاودة ولا تقبل أي تعامل مع أي كان، اللهم إلا إذا كان مغربيا صميما أصيلا.

تلك، شعبي العزيز، هي أهدافنا ومطامحنا، وقد شرحنا أمامك وسائلنا وخيراتنا وإمكاناتنا، على الله سبحانه وتعالى المتكل أن يهدينا حتى يمكننا أن نوفق بين وسائلنا ومواهبنا ومطامحنا، وبين ما نرجو لهذا البلد من سعادة وخير ورفاهية.

وأرجو الله مرة أخرى أن يغدق عليك، شعبي العزيز، الخير العميم، ويدخل كل بيت من بيوتك وكل أسرة من أسرك سعادة لا تنقطي، وخيرا لا يحصى، ورفاهية تعمك وتعم ذويك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقيت بالرباط بمناسبة تقديم التهاني الى جلالة الملك بعيد الأضحى المبارك.

السبت 11 ذو الحجة 1393

5 يناير 1974.

درس حسني حول قوله تعالى:

﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾

ألقاه أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه

14 رمضان 1388 - 1968/12/5

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين.

ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيء لنا من أمرنا رشدا.

رب، قد اتيتني من الملك، وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين.

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض، والجبال، فابين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما، جهولا﴾.

حضرات السادة

جرت العادة منذ أن بدأنا نحيي ليالي رمضان بذكر قول الله سبحانه وتعالى وتفسيره بترويح أحاديث النبيﷺ، أن نشارككم شيئا ما في اختتام هذه الأحاديث، ولم تكن مشاركتنا مشاركة ند لكم، من حيث التعلم والصناعة والفقه والحديث، ولكن مشاركتنا لكم لها أساسان: الأساس الأول: أن النصيحة التي أوجبها الله على جميع المؤمنين في حق من ولاه الله أمرهم، أوجبها من باب التبعية على أمير المؤمنين هو الأول بالنسبة لرعيته.

الأساس الثاني وهو أن نحاول جهد المستطاع أن نظهر بتواضع وأن نستسمح الله فيما يمكن أن نرتكب من أغلاط، لكل شاب شاب، نشأ مثل نشأتنا، وتلقى مثل تربيتنا ودرس دراساتنا وتثقف بازدواجنا، أنه إذا فتح الله قلب الإنسان وبصره وبصيرته أمكنه أن يدلي ولو بنصيب قليل في تعريف الإسلام، وفي تفهيمه بطريقة عصرية واضحة غير تقنية ولا علمية.

وقبل أن نشرع في تفسير هذه الايات، التي اعتبرها من أخطر ايات كتاب الله العزيز أود أن أوجه باسم جميع المستمعين والنظارة وباسم جميع المسلمين القانتين الصائمين إلى علمائنا، وعندما أقول علماءنا أعني علماء الإسلام، مغاربة كانوا أو غير مغاربة، أريد أن أشكرهم جزيل الشكر على ما قدموا من دروس وعلى ما فتحوا به اذهاننا من معلومات وعلى ما أتوا به الشيء الذي سهل وسيسهل علينا أن نحيط أحسن الإحاطة بديننا وبسنة نبينا حتى لا تزيغ أقدامنا وحتى لا نرتكب الأخطاء، فلا خير في عالم إذا هو لم يعلم ولم ينتفع المسلمون بعلمه.

ولكن ولله الحمد، أبت عناية الله إلا أن هدتنا إلى إحياء هذه السنة الطيبة الفاضلة باستدعاء علماء المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ليتذاكروا ويتباحثوا وليكونوا مثالا حيا لما قاله النبيﷺ في أحد أحاديثه أو كما قال: أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله.

فأنتم معشر العلماء أولا بأحجامكم المحترمة، وبأفكاركم النيرة وبدروسكم الثمينة من أولئك الذين قال فيهم النبيﷺ: «أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله» فطوبى لكم وجازاكم الله عنا خير الجزاء.

منذ ثلاث سنوات قررنا أن نضع اللبنة الأولى لدار الحديث حتى نلقح علماءنا الشباب والكهول بتلقيح جديد، وحتى نعطي لهذه المادة مادة الحديث معناها الحقيقي فكنا نسمع بالمحدث الذي يعرف الأصول ويتقن كتاب الله حتى لا يلحن في كلام الله أو كلام رسول الله وعلى بال وبينة تامة من الفقه والقانون ولكن لم نكن نسمع محدثا يحاول أن يستنبط من أحاديث النبيﷺ، ومن ايات كتاب الله القواعد العصرية الفقهية التقنية العلمية التي من شأنها أن تجعل من مجتمعنا هذا مجتمعا مثالا للحضارة بل يتقدم تلك الحضارة، لا مجتمعا راكدا أو يطلق عليه الناس أنه مجتمع راكد.

ومع الأسف إذا حاولنا أن نحلل عناصر الانحلال في شباب الإسلام نجد أنه غير مسؤول على ما هو عليه لأنه في الحقيقة يجهل دينه ويجهل سنة رسوله ويجهل كتاب الله وبكل تواضع أريد هنا أن أعترف أنه من درس المكي الناصري بالأمس تعلمت الشيء الكثير الذي كنت أجهله وقد فتح لي نافذة جديدة في ذهني والحالة هذه إنني كنت شغوفا بدراسة القانون وبالأخص دراسة القانون الإداري والدستوري، فإذا كانت حالتي هي هذه فكيف تكون حالة الملايين من الشباب الذين لا علم لهم بالعربية ولا بالاداب العربية ولا بالحديث ولا بالقران؟

فدار الحديث أول واجباتها أن تفتح الافاق للبحث والتلقيح، وأنني في المستقبل سوف اشترط لدخول دار الحديث أن تكون للمرشحين في الليصانص في الحقوق قبل أن تعطى لهم إجازات لأنه لا خير في فقيه إذا لم يعرف أسباب التشريع وإذا لم يعلم بروح المشرع، ونية المشرع، وما يريده المشرع.

فتلك هي فلسفة القانون وتلك الدراسات والمقارنات هي التي ستمكنهم من أن يكونوا علماء حقيقيين وتعميما لهذه الروح، روح التماسك والتسابق قررنا أن نجمع جميع المجالس العلمية بالمغرب أو المدارس لكي نعطي لكل واحد منهم في هذه المجالس نسخة من تفسير القرآن لابن عطية وأن نضرب لهم موعدا في رمضان المقبل حتى يتبارى كل العلماء، وتتبارى كل المدارس في الاتيان بباكورة عملها وبما اتبعته من التفكير والتصحيح.

وسوف يعطيكم وزير الأوقاف مصحوبا بوزير دولتنا في الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي في حفل رسمي خاص هذه النسخ، حتى نرى عملكم إن شاء الله في السنة المقبلة.

والان لنرجع إلى الآية التي بعون الله سنحاول تفسيرها وشرحها.

اعتبر أن هذه الآية منقسمة إلى قسمين في مبناها وفي معناها:

القسم الأول: قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض، والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾.

والقسم الثاني قوله تعالى: ﴿وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا﴾ وسنبين أن هذه الايات مختلفة في المبنى والمعنى تمام الاختلاف ونبدأ أولا بشرح المفردات.

إنا عرضنا، بمعنى عرض. فكان الله سبحانه وتعالى، وأنا أجله عن هذا التمثيل،

بمثابة إنسان له دكان عنده سلع وبضاعة ويعرضها على المشتري أو المقتني...

«أنا عرضنا الأمانة»، والأمانة هي ضد الخيانة يقال فلان خائن وضده فلان أمين والأمين هو الذي يحافظ على ما أؤتمن عليه ولو أدى به ذلك إلى أن يعرض نفسه وأهله وماله الخاص للخطر، إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال.

فأبين، أي بمعنى رفض وقد جاء لفظ الرفض لفعل «أبى» في القرآن في حق إبليس حينما أمره الله بالسجود فأبى واستكبر ولكن الفرق بين رفض الجبال والسماوات والأرض وبين رفض إبليس هو أن إبليس أبى واستكبر على الله سبحانه وتعالى.

أما الجبال – أبين وأشفقن – أما الأول فقد أبى واستكبر بدون تعليل وأما السماوات والأرض والجبال أبين فأشفقن.

والإشفاق له معاني كثيرة يقول علماء اللغة – أنه الإحذار وأنا باجتهادي الخاص أفضل الزهد فزهدن في المسؤولية، أما الإحذار ففيه نوع من الخوف وعدم التصرف ونوع من الإجبار. أما الزهد ففيه نوع من الحرية والاختيار، مثلما يقال عرضت على فلان القضاء فزهد بمعنى امتنع حينما قدر مقومات هذه المسؤولية وحينما قدر راحته وراحة ضميره بعد اختيار مرير وطويل زهد في القضاء وزهد في الرتبة وزهد في الشهرة حتى يبقى في حل واستقامة وطمأنينة مع ضميره فأنا أفضل من الناحة اللغوية هنا لفظ الزهد على لفظ الإحذار.

هذه الآية الأولى :

أما الآية الثانية : حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، حاولت أن أبحث في جميع القراءات هل ساجد حملها وحدها أو تحملها أو حملها بضم الحاء لكان المعنى منعكسا تماما لما سنحلله ولكن كانت القراءات كلها هي – وحملها الإنسان – بفتح الحاء – أي حملها الإنسان عن طواعية واختيار وحينما وصف بظلوم جهول كأنه يتهافت عليها وهو يطلبها من الله أنه كان ظلوما جهولا. ظلوم جهول هي صيغة المبالغة هل لكثرة ظلمه وجهله سمي ظلوما جهولا؟

أنا أظن أنه لا ظلوما جهولا – لاستمراره في ظلمه وجهله لاستمراره كبشر، ولاستمراره كجنس بشري، كسلسلة تشد حلقتها الحلقة الأخرى منذ خلق الله آدم إلى يومنا هذا واستمراره في الظلم كبشر منذ ولادته إلى مماته واستمرار ابائه من قبله وأبنائه من بعده، استمرار الجنس البشري هو الذي في نظري برر استعمال صيغة المبالغة ظلوما جهولا.

هنا يمكن أن نسبح في بحر لا ساحل له، إذا نحن فتحنا الباب لماذا لم يسبق جهولا على ظلوما لأن المسؤولية هل تقتضي أن يكون الإنسان ظالما قبل أن يكون جاهلا أم تقتضي أن يكون جاهلا بالمسؤولية فيصير بذلك ظالما وعلى كل حال سوف لا نفتح هذا الباب لأنني كما قلت لكم هذه الصناعة وهذا الفن ليس من اختصاصاتي ولا أريد أن أتي ببدع في هذا الباب فالمعول على العلماء والفقهاء ليدرسوا هذا الباب ولياتونا بنتائجهم في هذا المضمار.

نحن الان فسرنا هنا المفردات فلنحاول الان أن نعمل هنا مقارنة بين الآية الأولى والآية الثانية.

المقارنة في المبنى كان الله سبحانه وتعالى وهو الذي يقول في كتابه بأنه يكرم ابن آدم كأنه في حديثه الطويل بالنسبة للجمادات والحالة أنها ليست جمادات يطيل ويكرم السماوات والأرض والجبال ولا يكرم ابن آدم فالله سبحانه وتعالى يقول:

إنا بجلالة قدرنا تنازلنا فعرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال.

وأتى سبحانه وتعالى برفضها ثم أتى سبحانه وتعالى بتبريرهن لرفضهن فكانت الجملة طويلة مفسرة محللة لنفسية الله سبحانه وتعالى لنفسية العارض والمعطي ولنفسية الرافض فكانت جملة طويلة شافية للبحث، ثم: قف، وبعد، نرى: «وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» فكان القارىء يمكنه بل يجب عليه أن يقرأ الآية الأولى بشيء من البطء وبما أن الإنسان خلق من عجل فكأنه يجب على القارىء أن يمر بسرعة على الآية الثانية لأن تركيبها وألفاظها وحروفها تتطلب الإسراع «وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا».

كل واحد يمكنه أن ينطق بهذه الآية بسرعة.

واتحداه أن ينطق الآية الأولى بسرعة هذا هو الفرق من ناحية المبنى.

أما من ناحية المعنى لماذا أشفقت الجبال وأشفقت السماوات والأرض وأبين المسؤولية والأمانة ولماذا حملها الإنسان هل لأن السماوات والأرض والجبال جامدة والإنسان متحرك؟ لا.

هل لأن السماوات والجبال والأرض ميتة والإنسان حي؟ لا أبدا لأن العلوم الحديثة أظهرت لنا بأن السماوات والأرض والجبال متحركة ولا حياة إلا بقدرة السميع العليم.

السماوات السبع والكواكب والنجوم وما يقع فيها وما يعرج إليها وما يتلقى السمع فيها والجراثيم التي نراها والتي لا نراها والحياة الميكروبولوجية التي ربما تكون موجودة على سطح الأقمار وعلى سطح الكواكب والتي لا نعلمها كل هذا يدل على أن السماء متحركة حية.

والأرض، نعلم الان من العلماء الذين لهم شغف بالتنقيب عما في تخوم الأرض بأن الأرض حية زيادة على أنها متحركة وكل منا يعلم أن الأرض تدور حول نفسها وأنها تدور حول الشمس حسب قواعد «كيبلر» المنجم المشهور «فكل في فلك يسبحون» «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار».

أما حياتها فهي لأنه مرارا نرى أراضي قد يخسف بها وتغطيها البحار ونرى جزرا تخرج من قعر البحار ونرى جبالا تنزلق ومعلوم أن هذه العمليات وهذا التغير يكون على الاف السنوات ولكن هذا يدل على حياة الأرض وحركاتها.

فإذا كان الإنسان حيا وهذه المخلوقات الأخرى حية وكان الإنسان متحركا وهذه المخلوقات الأخرى متحركة فما هو السبب في كون الله سبحانه وتعالى قبل من السماوات والأرض والجبال رفضهن للأمانة والحالة هذه أنا سمعنا في درس البارحة أنه إذا لم يوجد إلا إنسان ليوظف في وظيف معين ولو أبى أن يوظف يجلد ويسجن ولكن الله سبحانه وتعالى عنده أحسن من هذه الجمادات عنده الإنسان.

الإنسان الذي أهله لذلك.

الإنسان الذي رباه على ذلك.

الإنسان الذي باهى به بين ملائكته.

الإنسان الذي أراد أن يستخلفه في الأرض.

الإنسان الذي قال له سوف نعلمك الأسماء كلها، وسوف نعلمك كيف تكون هذه، وكيف تكون تلك، وسوف نعطيك من السلاح وسوف نعطيك من العلوم ما يمكنك على الأقل في القرون الأولى أن تعيش حياة ممكنة على سطح الأرض.

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

فكان الله سبحانه وتعالى حينما أناط بادم المسؤولية أراد أن يظهر لملائكته أن آدم قادر على تحملها وذلك حينما تحداهم آدم واجتاز ذلك الامتحان ونجح.

فعندما يكون بالطبع آدم مؤهلا لخوض المعركة لحمل الأمانة وفي نظري أن الأمانة هنا هي المسؤولية وسوف أتطرق إلى هذا الباب من بعد.

من الطبيعي أن يمر عليه قول الله تعالى مر الكرام، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.

الان وقد حاولنا باختصار أن نشرح الفرق بين أباء السماوات والأرض والجبال وإشفاقهن وبين قبول بل تهافت بني الإنسان إلى تحمل المسؤولية وقد شرحنا الأسباب التي – في نظرنا – دعت بني آدم أن يتحمل المسؤولية ذلك لأن الله أهله بما لقنه من علوم ومعلومات، لنتطرق إلى الكنه والمغزى الحقيقي لهذه الآية ألا وهو لفظ الأمانة.

الأمانة في الإسلام

الأمانة في الإسلام لا الأمانة الفقهية، لا الوديعة ولكن الأمانة المنوط بها الإحسان وهو الضمير المهني والمنوط بها الإيمان والمنوط بها المواطنة الصادقة والمنوط بها مسؤولية الراعي كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته.

وما هي مرتبة الأمانة من الواجبات الأخرى في الدين الإسلامي.

الأمانة هي من باب المعاملات سواء كانت خاصة أو كانت عامة ولا نرى ذكرا لمعاملة كيفما كانت لتكون من علامات قيام الساعة إلا فيما يخص ضياع الأمانة نعم نراها في ضياع العبادات أو أركان الإسلام الخمس أما في المعاملات لا نرى معاملة غير الأمانة يضرب بها موعد لقيام الساعة والصحيح في ذلك هو حديث مسلم الذي يحفظه كل واحد منا عندما يكون في المدرسة الثانوية سنة أو سنتين بعد الشهادة الابتدائية والذي يقول فيه: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول اللهﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبيﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يامحمد: أخبرني عن الإسلام... قال رسول اللهﷺ:

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت أن استطعت إليه سبيلا.

قال صدقت، هذا جبريل يقول للنبيﷺ صدقت. قال سيدنا عمر فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال سيدنا جبريل فأخبرني عن الإيمان قال:

أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ويزاد حلوه ومره والله أعلم.

قال صدقت قال :

فأخبرني عن الإحسان، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال :

فأخبرني عن الساعة :

قال النبيﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

قال :

فأخبرني عن إماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنه جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم».

نكتة

هنا نكتة من ناحية صناعة الحديث أريد أن ألفت نظر المحدثين إليها، أننا تعلمنا أن هناك صنفين من الحديث:

الحديث القدسي

والحديث العادي

فالحديث القدسي هو الذي يتكلم فيه النبيﷺ باسم الله... ياعبادي أني حرمت الظلم على نفسي وجعلته حراما بينكم فلا تظلموا.

والحديث العادي: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى.

ولم يبوب أي محدث بهذا النوع من الحديث الذي يأتي فيه جبريل فيخاطب النبيﷺ فلا هو بالحديث العادي ولا هو بالحديث القدسي فأنني أضع هذا السؤال وأطرحه أمامكم لعله يجد قريبا الجواب عنه.

طيب، يمكن للقائل أن يقول قلت إن الأمانة هي القاعدة الوحيدة في المعاملات التي جاءت كإمارة إذا هي ضاعت لوقوع الساعة ولم أر هنا لفظ الأمانة أو أسمعه بكيفية جلية.

هناك حديث آخر رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبيﷺ إنه قال:

إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل يارسول الله وما أضاعتها؟ قال النبيﷺ:

«إذا وسد الأمر لغير أهله أو إذا أسند الأمر إلى غير أهله» فهذه هي الخلاصة التي تشير لنا أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان، الأمانة قيام الساعة.

معنى الساعة

للساعة معنيان: المعنى الميتافيزيقي حينما تقوم الساعة، الساعة معروفة ومع الأسف العامة في بلاد الإسلام والشعوب في بلادنا السائرة نحو النمو الساعة عندهم هي أن تفني الأرض ومن عليها والحالة هذه أنها هي ساعة وساعات لكل بلد ساعة لكل نظام ساعة لكل قارة ساعة لكل حضارة ساعة متى إذا أسند الأمر إلى غير أهله.

وإذا أسند الأمر في بلد ما أو في قارة ما أو في مجموعة بشرية ما إلى غير أهله فانتظر الساعة، وما هي هذه الساعة.

أن التاريخ قد علمنا أن الشعوب يمكنها أن تتغلب على عدة مصاعب ومتاعب، يمكنها بالأخص أن تتغلب على الصعاب والعراقيل المادية حيث أن الإنسان خلق في هذه الأرض ليكافح كفاحا مستمرا وجهادا غير منقطع ولكن حينما ترى هاته الدول وهاته النظم نفسها أمام مشاكل عقائدية أو مشاكل مذهبية أو مشاكل خلقية، وحينما ترى الاعوجاج في سلوكها والبدع في معتقداتها والفسوق في أخلاقها ولا تريد أن تحارب هذا الاعوجاج ولا تريد أن تقوم تلك الأخلاق هناك تقرب ساعتها لماذا؟ لأن الفساد لا يقاومه إلا الطهر ولا يقاوم الفاسقين إلا ذوو الأخلاق ولا يقاوم الخائنين إلا المخلصون ولا يقاوم المبتدعين إلا السنيون القائمون بالقسط.

فمتى أعطى الله لبلد قادة كانوا غير صالحين دينا إلا وواكبهم أو واكب عصرهم بفتن في أموال رعيتهم وفي أعراض رعيتهم وفي معتقدات رعيتهم فتصير إذ ذاك الرعية دون راع فـ:

إذا كان رب البيت للطبل ضاربا

فلا تلم الصبيان في حالة الرقص

فإذا كان الراعي في حالة انحلال أو كان لا يعطي أي وزن للفضيلة الإسلامية أو للأخلاق الإسلامية فكيف تريدون أن يقاوم باسم الله وباسم كتابه وقول نبيهﷺ فتكون إذن المتناقضات.

أما إذا وهب الله لأمة ما أو مجموعة ما رؤساء مهذبين باداب الإسلام حافظين لعقودهم ولضمائرهم محافظين على لغتهم ودينهم وشعائرهم إذ ذاك ولو تأتي زوبعة من حيثما أتت، ولو تأتي جرائيم وكيفما كان نوعها لا يمكنها أبدا بأي حال من الأحوال أن تنخر جسد تلك الأمة أو تصيره غير قابل للإصلاح والتلقيح.

الأمانة هي المسؤولية

فالأمانة إذن هي المسؤولية التي يتحملها كل واحد منا، والمسؤولية تنقسم إلى قسمين:

المسؤولية المطلوبة

والمسؤولية المفروضة.

كل منا يجد نفسه أمام نوع من المسؤوليات أمام النوع الأول المسؤولية المفروضة إزاء ربه حينما يبلغ سن الرشد، المسؤولية البيتية حينما يتزوج ويكون له عيال، المسؤولية المهنية حينما يحترف حرفة خاصة لائقة به من الحرف الغير العمومية هذه هي المسؤولية المفروضة أحببنا أم كرهنا. عندما نبلغ سن الرشد يجب علينا أن نتحمل مسؤولياتنا الدينية بمعنى أن ننهض بالأمانة الدينية وأن نقيم الشعائر الدينية وحينما نتزوج وحينما نقرر أن نتزوج يجب علينا أن نقوم بمسؤولية بيتنا وبالأخص مسؤولية أبنائنا من تربية وتغذية وكساء وإيواء.

وحينما نمتهن مهنة من المهن ونحترف حرفة من الحرف لابد لنا من أن نتحمل المسؤولية والا قضت علينا المزاحمة وصرنا بعد شهرين أو ثلاثة أشهر غير محترفين ولا ممتهنين بل صرنا مساكين فقراء نمد اليد.

هذه هي المسؤوليات المفروضة وهناك المسؤوليات المطلوبة وهي المسؤوليات التي يطلب من فلان وفلان أو جماعة لما عرف فيها من كفاءة ودراية أن تتحمل مسؤولية معينة في الزمن وفي المكان.

تحمل هذه المسؤولية في نظري أخطر من تحمل الأولى لأن الأولى:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فهي المسؤولية المفروضة فإذا أخذ الإنسان مسؤوليته ولم يتوفق في حفظ الأمانة في النوع الأول صار أثمه عليه، ومن معه ولم يواخذه المجتمع ويصير ذنبه ذنبا خاصا به وبمن يعوله.

أما المسؤولية الأخرى وهي المسؤولية المطلوبة تلك التي لا نجبر أحدا على أن يأخذ بيدها تلك التي لا تتطلب من الشخص لا جسدا قويا ولا أعضاء قوية ولا عضلات للجهاد إنما تتطلب منه قلبا صافيا وذهنا مرتبا وضميرا مهنيا إذا هي حملت فحملت فلم يقم بها أحسن قيام فهي المسؤولية المصيبة التي قال فيها النبيﷺ إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

فلينتظر ذلك النظام أو تلك الدولة أو تلك القارة أو تلك المجموعة ساعته لماذا؟ لأنه حينما يفقد الضمير المهني وحينما يفقد معنى الإحسان، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه والإحسان وهو ما يصير بذلك الفتى الذي يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله الذي قلبه معلق بالمساجد أي معلق بأخلاق الله وبأوامر الله تلك الأوامر التي ينصت إليها في المسجد والتي يتلقاها في المسجد والتي تتلى عليه في المسجد.

فإذا هو ضيع الإحسان وضيع الضمير المهني وصار يتلاعب بالمسؤولية ويتلاعب بالأمانة لم ينحصر تلاعبه في شخصه لأن المصيبة هي أن ذلك التلاعب يجري مجرى الدم، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فحينما يتلاعب بالنسبة لضميره لا يذهب إلى المكتب والحالة أنه يجب عليه أن يذهب إليه، إلا وتسامح مع نفسه صار من الطبيعي إذا هو لم يخف أن يوشي به أو أن يشتكي به أن يتسامح مع من هو دونه فإذا هو تسامح مع من هو دونه، تسامح هو الآخر سامح مع من هو دونه فإذا هو تسامح مع من هو دونه، تسامح هو الآخر سامح مع من هو دونه فصار السلم من الأعلى إلى الأسفل بضياع الأمانة، وإذا هو تسامح المرة الأولى وكما يقول فقهاء الاجتماع لا أخطر من الكاس الأولى فإذا هو شرب الكاس الأولى من خيانة الضمير إلا وتسرب إليه جميع أنواع الانهيار والانحطاط وفقدان حاسة المسؤولية من محاباة ومحسوبيات ورشوة وما إلى ذلك مما يشين، بالطبع إذا فسد جهاز إداري هذا الفساد ولم ينه عنه ولم يعزل أو يوقف أصحابه تسرب ذلك إلى الأجهزة الأخرى حتى يصير ذلك الاخلال بالأمانة ليس استثناء ولكن قاعدة فيصير الرجل ذو الضمير كأنه غريب في قومه وعن قومه على جزيرة فيها جنس اخر من البشر لا يتكلمون لغة واحدة ولا يستعملون مفردات

واحدة ولا يطمحون إلى مطمح واحد.

وبالعكس إذا قاوم الإنسان نفسه وقاوم شيطانه. والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى كرمنا أي تكريم حينما أعطانا وسائل الاختيار وحينما كتب في خاتمة ذلك الاختيار أما التضحية وهو الربح وأما عدم التضحية والتقهقر وهو الخسران وأشرح قولي: لا خير في تضحية إذا لم تكن منطلقا لمعترك في نفس الإنسان ما الشيء الذي تركه والاتيان به لا تعطيه نفس البشر أية قيمة لا يمكن أن يكون محل أو موضوع اختيار، أما الاختيار الحقيقي فهو الذي ينهك الذات وهو الذي يكون عراكا مستمرا في ذهن الإنسان بين ما هو حلو وبين ما هو أحلى منه، وبين ما هو حسن وما هو أحسن منه، وبين ما هو سهل وما هو وعر وبين ما هو في طريق الجد وبين ما هو في طريق غير الجد.

ولكن أعطانا الله سبحانه وتعالى وسائل الاختيار أعطانا ضميرا نقيس به الأعمال، وأعطى لكل واحد منا درجة في الإدارة فمنا من يحارب نفسه ومنهم من يسالمها ومنهم من يجهلها تمام الجهل حتى لا تضع عليه أي مشكل أو أي اختيار وحتى لا يترتب عن ذلك الاختيار أية تضحية.

وهنا يجب التنبيه إلى أن النبيﷺ جعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا فرديا وجماعيا في آن واحد جعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا جماعيا حيث قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» حيث أنه نهىﷺ عن الخروج عن الجماعة حيث أنهﷺ اخى بين المهاجرين والأنصار حيث أنهﷺ نصح ولا زال ينصح أصحابه بالاتحاد والوحدة، ولكن في آن واحد جعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا فرديا بمعنى أنه جعل من كل واحد منا مرشدا يجب عليه الإرشاد وتجب عليه النصيحة لذا لم تضع أمانة الإسلام.

الدين النصيحة

فقد قال الأستاذ سيدي محمد الفاسي أن من معجزات الإسلام أن هناك حضارات وحضارات وصلت إلى قمتها ثم انهارت أما الحضارة الإسلامية فلم تنهر ففكرت الليلة كلها في الأسباب التي جعلت أن الجماعة الإسلامية بقيت كما بقيت عليه فوجدت أن الله سبحانه وتعالى أعطى لكل واحد منا الفرصة في ان يكون قاموس العرب يحفظ لغة واحدة في أن يكون مرشد المسلمين لأن هناك دينا واحدا ومعتقدا واحدا وفي أن يكون قائما بالوعظ والإرشاد كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته وأهل كل واحد منا لأن يقوم بل أوجب عليه أن يقوم بالنصيحة «الدين النصيحة» قالوا لمن يارسول الله قال لأئمة المسلمين وعامتهم وهذا أعتقد هو السبب الأول الرئيسي في بقاء الدولة الإسلامية كما هي عليه لأنه بمثابة ثعبان يعض على مؤخره ولا أول له ولا اخر سلسلة بدون انقطاع كلما طلعت عجلة نقول بأن عجلة التاريخ تكون تارة فوق وتارة تحت أما هذه فعجلة متقطعة الأطراف أي عجلة واحدة كلها مسلمة من أولها إلى اخرها بلغة واحدة بمعتقدات واحدة بأخلاق واحدة بأمانة واحدة برعاية واحدة بتقدير واحد للمسؤولية وللرعاية تلك عجلة التاريخ فعلا ولكن كل ما انحدر طرف منها تعلى الطرف الآخر فقام بالواجب وأدى الأمانة ريثما يصل به الركب ويلتحق بالركب. وما تمكن الإسلام من هذا الا لأنه جعل منا قيمين على الدين والدنيا فلو أنه جعل منا رهبانا عليهم وحدهم أمانة مسؤولية رعاية المسلمين لكان الفساد ولكان الخراب والعياذ بالله.

ولكن الإسلام أناط بكل واحد منا أن يقوم بواجبه داخل بيته وأن يقوم بواجبه في مجتمعه وأن يقوم بواجبه إزاء السلطة وذلك إذا رأى منكرا أن يغيره أما بأن يقوله وأما بأن يسند نفسه كمثل يحتدى وأما بأن ينصح أولي الأمر ويقول لهم أن المنكر قد رأيته بأم رأسي فلم أسمع به ولكن رأيته ولمسته بيدي فغيروه.

هذه هي الأمانة في الإسلام مسؤولية خارجة عن نطاق التعامل الموجود في الفقه وفي المعاملات، الأمانة ليست هي المال الذي أتركه لك حتى ترده لي، لا.

الأمانة هي الوديعة التي حملها الله إيانا عندما استخلفنا في الأرض فمنا من أحسن الاستخلاف ومنا من أساء ومن الدول التي سبقتنا من أحسنت الاستخلاف ومنها من أساءت. ونحمد الله على كوننا وجدنا في الإسلام وفي الدول الإسلامية ولا أقول العربية فحسب بل الدول الإسلامية دولا استخلفها الله بكيفية دورية حتى لم تضع وحتى لن تضيع الشعلة الإسلامية والحضارة الإسلامية.

المغاربة سواسية

فمسؤوليتنا إذن هي ليست المسؤولية بمعنى جنس المسؤولية.

ليست المسؤولية الميتافيزيقية التي نسمع عنها ولا نراها. بل هي مسؤولية مجسمة لا يمكن أن يتهرب منها أي أحد اللهم إلا إذا كان مجنونا. أما إذا كان الإنسان عاقلا ويستطيع التفكير الا ويإمكانه بل ومن واجبه أن يحتفظ في الحين بمسؤوليته الخاصة ثم بمسؤوليته العامة.

والله سبحانه وتعالى أسال أن يزيد من إلهامه لنا حتى يمكننا أن نأتي بمثل ما اتينا به وذلك في توجيهاتنا التي كنا أصدرناها سنة 1965 حيث نقول على الجهاز الإداري. كثر القيل والقال حول جهازنا الإداري الذي لصقت به اتهامات مسيئة إلى سمعته وبالتالي إلى سمعة البلاد.

وإذا كان الواجب يفرض علينا أن نعترف بأن لهذه الاتهامات نصيبا من الصحة فإن الإنصاف يفرض علينا من جهة أخرى أن لا نصم جهازنا الإداري كله بالضعف وننسب إليه كل ما يتحدث به الناس من فساد. ونحن مصممون العزم على تتبع الداء واستئصال الفساد وقد أحدثنا لهذا الغرض محكمة خاصة للعدل للضرب على أيدي من تسول له نفسه التلاعب بأموال الدولة وتعاطي الرشوة واستغلال النفوذ.

وبالإضافة إلى ما هو منصوص عليه في قانون الوظيفة العمومية من حقوق الموظف ومن واجباته فقد وطدنا العزم على أن يسير جهازنا الإداري وفق المبادىء الاتية، ويتخذ التدابير المعروضة فيما يلي:

1 - المغاربة سواسية فيما يتعلق بالشروط المطلوبة لنيل الوظائف والمناصب العمومية وهذا المبدأ الصالح قد اكتسى صبغة دستورية، واجتنابا لكل حيف أو محاباة يجب أن يباشر التوظيف بطريق المباراة طبق ما ينص عليه القانون، ويستتبع احترام المبدأ السالف الذكر أن يكون الموظفون سواء فيما يرجع إلى الأجور إذا كان مستواهم واحدا وعملهم متشابه.

ولا أريد أن أطيل عليكم قراءة هذا النص فهو موجود ورائج المهم هو أن نتشبع كلنا بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا، والمهم هو أن نصل إلى درجة الوعي، والمهم هو أن نصل إلى الهدف، فطرق الله مختلفة منا من يتغلب عليه الوازع الديني طيب! فليتقبل المسؤولية وليأخذها من باب الإحسان ومن باب الوازع الوطني. ولي اليقين بأن محبة الوطن ستؤدي به إلى محبة دينه.

ومنا من يحب حرفته لأنه يحب حرفته، وإذا أحب حرفته وأرضى ضميره وأرضى بذلك إحسانه، ولي اليقين أن نهاية المطاف سوف تصل به إلى امتزاج الدين والدنيا والوطن، فإذا نحن أتينا لنصل إلى الأمانة وإلى إدراك الأمانة والقيام بأمانة، من أين أخذنا الطريقة وأي طريقة أخذنا طريق الضمير المهني طريق الوطن طريق الإخلاص إلى الله، كل هؤلاء الثلاث يجتمعون في مجتمع يقول فيه النبيﷺ: ما اجتمعت أمتي على ضلال.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يلهمنا جميعا المقاييس الرشيدة والسليمة حتى يمكننا بتلك المقاييس أن نزن المسؤوليات بوزنها الحقيقي، وأن نعطيها مدلولها الحقيقي وأن نفوض منا ما نفوض إلى من هم جديرون به.

دعوات خالصة لله

اللهم إنك قررت أن تحمل ابن آدم ولو هو حملها لم يكن ليحملها لولا أن أردت أن يحملها، فقد حملت ابن آدم المسؤولية والأمانة وأعطيته من التجهيز الفكري والجهاز البدني ما هو كفيل بأن يجعله يقوم بمسؤولياته أحسن قيام.

اللهم اجعلنا من الذين استخلفتهم في الأرض فكانوا لك خلفاء.

اللهم أخلف أمتك الإسلامية كلها.

اللهم قلت وقولك الحق «ادعوني استجب لكم».

اللهم إنك تعلم الحالة التي تعيش فيها الدول الإسلامية، وتعلم النكبة التي نقاسيها، وتعلم المصيبة التي يعيشها إخواننا المشردون.

اللهم إنك جعلت من بيتك الحرام أولى القبلتين وثالث الحرمين، فهو بيتك ودارك وحرمك وحماك، فلا شك لي ولا شك لنا إنك ستدافع عن حماك، ولكن اللهم عجل بالدفاع وذلك بهدايتنا وباستقامتنا.

انني سمعت يا الله تحليلات كثيرة للحالة التي يعيش عليها المسلمون، وكانت مع الأسف تلك التحليلات سواء في هذه السنة أو في السنوات الماضية تحليلات غير شافية، وغير كافية، حيث أننا كلما ذكرنا الحالة إلا وعللنا الحالة بعوامل خارجية وأجنبية عنا والحالة هذه أن داءنا فينا، فاللهم داونا.

اللهم رغم نكبتنا لم نرجع إلى الإخوة الصادقة، فآخ بيننا.

اللهم إنك قلت ولا تنابزوا بالألقاب، ورغم النكبة والنكسة التي نعيشها لازلنا نتنابز بالألقاب فطهر قلوبنا.

اللهم إنك علقت امال الملايين والملايين ومات الملايين من قلوب المسلمين، وامالهم على الذين وليتهم أمر عبادك.

اللهم عاقب منا من لا إيمان له ولا نية صالحة له، وجاز من يعتبر منا إنك إن تعلم في قلبه خيرا فاته خيرا.

اللهم فأبدأ بنا نحن الأولين إذا كنا على هذا المنوال، فأنت تعلم ما في قلبنا نحو شعبنا ونحو الأمة الإسلامية، اللهم إن كنت تعلم أنه طاهر، فزده طهارة، اللهم إنك إن كنت تعلم أنه صاف فزده صفاء، وإذا كنت تعلم العكس، فاللهم زده من مصائبك التي تعلم أنها فيه.

اللهم ببركة هذا الشهر، وببركة هذا الضريح الذي من كرامته أنه ضم ثلاثة من أعظم ملوك العلويين سيدي محمد ابن عبد الله، والحسن الأول، ومحمد الخامس.

اللهم إنك لم تجمع جثتهم عبثا ولم تكن من صدف التاريخ بل أنها إرادة الهية أرادت أن تجمع بينهم لما بينهم من القرابة، والقربى، اللهم فبحرمتهم وبركتهم أمطر شآبيب رحمتك على والدنا ومحرر بلادنا.

اللهم إنك تعلم ما كان عليه من التقوى والزهد فإنه من فضلك وكرمك.

اللهم إنك تعلم إنه كان يحب كتابك فأعطه من الفضل والثواب على قدر محبته لكتابك.

اللهم إنك تعلم وتعلم بحق إنه كان أن اقتضى الحال يضحي بأولاده وبنيه في سبيل شعبك المسلم، فأثبه يا الله على قدر التضحية التي كان من الممكن أن يقوم بها لو اضطر إلى ذلك.

الله بيض وجهه كما بيض وجه هذه الأمة.

اللهم إنه رفع شأننا وحرر بلادنا فحرره يا الله من مشاق يوم القيامة وأرفع رأسه يوم القيامة وأظله تحت ظلك يوم لا ظل إلا ظلك، لأنه كان إماما عادلا، وحب في الله واجتمع على ذلك مع شعبه وتفرق معه على ذلك.

الرؤية الحسنية في الأصولية الإسلامية

للأستاذ : أحمد أفزاز
النائب الثاني للأمين العام لرابطة علماء المغرب

في حديث صحفي.(1) أدلى به أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده، عبر حفظه الله عن رؤيته لمفهوم الأصولية الإسلامية فقال: «إن المغرب بالتأكيد إحدى الدول الأكثر أصولية لأنه لم يحتفظ إلا بالمذهب المالكي وحده الذي جاء مباشرة من المدينة المنورة، حيث عاش رسول الله ﷺ، فإذا كانت هناك أصولية فإن المغرب إذن هو البلد الأصولي، وهو الأكثر أصولية».

وفي حديث صحفي اخر منشور قال أمير المومنين أعزه الله: «**أما بالنسبة لنا في المغرب فإننا أصوليون بالنسبة لديننا الإسلامي الحنيف، فنحن السنيون، وخاصة أتباع المذهب المالكي**».(2)

لقد جاءت الفقرات المذكورة في حديث أمير المومنين لتضع مفهوم الأصولية الإسلامية في إطاره الحقيقي.

وفي البداية ينبغي أن نبين مدلول الكلمة، فالأصولي نسبة إلى الأصل.

والأصل في الاستعمال اللغوي له عدة معاني، فهو أسفل كل شيء،(3) وما يبنى عليه غيره بناء حسيا أو معنويا، وما يقابل الفرع.

والإسلام بني على أصول معروفة، ونشأت عن تلك الأصول قواعد وأحكام فرعية للتطبيق في الحياة العلمية، ولتكيف السلوك الإنساني في حياة المسلم.

أول تلك الأصول وأكثرها إشعاعا في التشريع الإسلامي هو كتاب الله عز وجل، فالقران الكريم الذي أنزله الله على نبيه سيدنا محمد ﷺ هو موضوع الرسالة الإسلامية وقد تناول جميع الأحكام الإسلامية التي يحتاج إليها المسلم في مسيرته الإيمانية.

والمسلمون في جميع أنحاء العالم لابد أن يكون في عقيدتهم الإيمانية أن كتاب الله عز وجل هو المصدر الأول والأصل الأساسي للتشريع العملي للإنسان المسلم.

وفي هذا التوجيه يقول أمير المومنين أعزه الله: «**إننا بقينا دائما متشبثين بدين الله، سبحانه وتعالى، وهو الإسلام الذي له الكتاب كأساس وكأصل**».(4) فدين الله أولا هو الإسلام، ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.(5) وأساس هذا الدين وأصله ومنبعه ومصدره هو كتاب الله تعالى الذي يضمه المصحف الشريف.

وقد نظم القران الكريم حياة المسلمين بكل أبعادها جماعية كانت أو فردية، دولة كانت أو أسرة.

ففي ضبط رئاسة الدولة يقول الله تعالى: ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾.(6)

وأشار القران الكريم إلى بعض سلطات الإمام فقال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.(7) يقول ابن جماعة: «ويجب نصب إمام يقوم بحراسة الدين، وسياسة أمور المسلمين، وكف أيدي المعتدين، وإنصاف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها ويضعها جمعا وصرفا في مواضعها، فإن بذلك صلاح البلاد، وأمن العباد، وقطع دابر الفساد، لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم ويتجرد لحراستهم».(8)

والأصول الإسلامية تتحدث عن العلاقة الجماعية للمسلمين في إطار من الود والصفاء يقول تعالى: ﴿إنما المومنون إخوة﴾.(9) وتنظم التصرفات الإنسانية التي تدعو إليها الحاجة الاجتماعية من بيع وشراء وقرض ورهن ووكالة ووديعة وغير ذلك من أنواع المعاملات مع تطهيرها من الاستغلال (الغبن – الربا) وعيوب الرضا، والضعف العمري (الإكراه – الحجر).

وتتحدث الأصول الإسلامية عن العلاقة البيئية بهذه القاعدة ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾.(10) ويقول تعالى في علاقة البنوة بالأبوة: ﴿وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.(11)

وفي علاقة الأمة الإسلامية مع غيرها يقول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾.(12) ويقول: ﴿إن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾.(13)

هذه الأصول القرآنية لنظام الحياة كانت منظورة في فكر أمير المومنين وهو يتحدث عن الأصولية الحقيقة في القرآن.

ولم يغب عن ذهنه حفظه الله المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وهو السنة فقال في ذلك أعزه الله: ﴿وله السنة كتطبيق وتفسير﴾.(14)

فالسنة التي هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته تكون التطبيق العملي للإسلام فالرسول عليه الصلاة والسلام كان النموذج الأسمى للإسلام وكانت سنته ﷺ تفسيرا وبيانا لما جاء به القرآن، وقد أشارت إليه هذه الاية الكريمة: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾.(15)

والمصدر الثالث لتقرير الأصول الإسلامية الذي هو الإجماع أشار إليه أمير المومنين بقوله: «**وله الجماعة كحصن وتحصين**».(16)

فجماعة المسلمين عندما تتفق على أصل أو قاعدة أو حكم أو قرار، تكون وضعت أساسا ثالثا للتشريع في الإسلام، ويتضمن هذا أن القاعدة أو القرار الذي وضعته الجماعة الإسلامية وهي ما يسمى بالإجماع، يصبح جزءا من النظام الإسلامي، ويعتبر الحكم أو القاعدة تحصينا لأحكام القرآن والسنة، لأن الجماعة الإسلامية لا يمكن أن تتفق على ما يخالف الكتاب والسنة، إذ على أساس هديهما تضع الحكم، والتطبيقات العملية لتحصين الإسلام بقرار الجماعة الإسلامية كثيرة ومتعددة، فأسلوب بيعة خليفة رسول الله ﷺ وضع من طرف جماعة الصحابة، وأسلوب ولاية العهد الذي يتم من أبي بكر لعمر بن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ كان كذلك بإجماع الصحابة، وجمع القرآن وتوحيد المصحف كل ذلك لأعمال الجماعة الإسلامية التي حصنت بها الإسلام.

إن التمسك بالأصول الإسلامية كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تكون الطريق الصحيح للإنسان الذي يجعل الشريعة الإسلامية منهجا له في الحياة.

وعلى هذه الأصول تقوم الفروع التي اجتهد الفقهاء لاستنباطها منها، ويسروا للمسلم التعامل مع أحكام الإسلام.

يمكن في حوار مفتوح أن يقال بأنه مادام الأصلان الكتاب والسنة قائمين فلا حاجة لمذهب أو اتجاه غيرهما.

ولكن الرد على السؤال متوفر وموجود، إن الإحاطة بأحكام القران وأقوال السنة ومضمونهما، أمر غير متيسر لكل الناس، بل غير متيسر حتى على الخواص، ففهم نص قرآني أو حديث نبوي، يحتاج إلى التخصص في كثير من العلوم الإسلامية، وقد قام بهذا قادة الفقه الإسلامي ابتداء من النصف الثاني من القرن الهجري الأول، فأخذ هؤلاء القادة عن الصحابة والتابعين بعد تعمقهم في العلوم الإسلامية، أحكام الدين تطبيقا عمليا كما وصل إليهم، ونجد على رأس هؤلاء أصحاب المذاهب الأربعة، وفي مقدمتهم إمام المدينة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه، واتباع المغاربة للمذهب المالكي نابع من كون صاحبه عاش في مهبط الوحي الثاني مدينة رسول الله ﷺ، وعاين الإسلام وهو حي يمشي في سلوك التابعين الذين نقلوه قولا وعملا عن صحابة رسول الله ﷺ، وفهما وتفقها في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولهذا كان التمسك بالمذهب تمسك بأصول الإسلام وبقواعده وأحكامه، وهذا ما أشار إليه أمير المومنين عندما قال أعزه الله: «**فنحن السنيون، وخاصة أتباع المذهب المالكي هم الأصوليون في الإسلام**».

إنها توجيهات صادقة صادرة من قلب مومن عارف بأحكام الإسلام، وبمصادر التشريع في الإسلام، وبأن المسلمين لا نصرة لهم إلا بتمسكهم بدينهم كما جاءت به آيات كتاب الله الكريم وأحاديث رسوله ﷺ، وما اتفقت عليه جماعة المسلمين من أحكام أصلية أو فرعية.

ويعتبر التمسك بالمذهب المالكي في المغرب الإسلامي وسيلة للتمسك بالأصولية الإسلامية الصحيحة، وعمل من شأنه وحدة الجماعة الإسلامية، إن الدعوة التي ترمي إلى الخروج على المذاهب الفقهية، والتعامل مباشرة مع الكتاب والسنة دعوة مشبوه فيها، وقد تكون خطة مرسومة من طرف أعداء الإسلام، أو أنها كمحل ظاهره شيء، وباطنه الهجمة الشرسة على الإسلام، ولعل هذا هو التطرف الذي أشار إليه جلالة الملك الحسن الثاني في أحاديثه السابقة.

لنسأل هؤلاء، هل مذهب الإمام مالك مثلا، مذهب غير مبني على كتاب الله وسنة رسول ﷺ، أو أنه لم يستمد أحكامه الفرعية منهما مباشرة.

إن موطأ الإمام مالك وهو كتاب حديث بل من أول كتب الحديث التي جمعت منظمة على أبواب الفقه، يعتبر المصدر الأساسي في الفقه المالكي ومنه ومن فتاوي الإمام مالك استمدت المدارس الفقهية المالكية الأحكام الفرعية التي نجدها مفصلة في مختلف كتب الفقه المالكي.

والشيء الوحيد الذي ينقصنا في الوقت الحاضر، وأرى أنه من واجب علماء المغرب بصفة خاصة هو ربط الأحكام الفرعية في الفقه المالكي بأصولها الإسلامية في الكتاب والسنة. وهذا من صميم التفقه في الدين، الذي يقول فيه ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».(17) وهو عمل في عمقه يخدم الفقه المالكي بصفة خاصة، ويخدم الإسلام بصفة عامة، وربما يفهم من ذلك الذين يدعون لترك المذاهب الفقهية أن التمسك بها تمسك بالكتاب والسنة، وهو تمسك بالأصولية من منابعها ومصادرها الصافية النقية.

ولعل هذا ما كان يفكر فيه أمير المومنين ويتصوره وهو يقول: «إن المغرب بالتأكيد إحدى الدول الأكثر أصولية، لأنه لم يحتفظ إلا بالمذهب المالكي وحده، الذي جاء مباشرة من المدينة المنورة حيث عاش رسول الله ﷺ، فإذا كانت هناك أصولية فإن المغرب إذن هو البلد الأصولي وهو الأكثر أصولية».

1) انظر جريدة العلم بتاريخ 10 |12 |88.
2) جريدة العلم 14 |12 |88.
3) لسان العرب لأبي منظور مادة «أصل» ج 1 ص 89 طبعة دار المعارف.
4) خطاب جلالة الملك بمناسبة عيد الشباب 9 يوليوز 1988. انظر «مجلة دعوة الحق» العدد رقم 271.
5) الآية 19 من سورة ال عمران.
6) الآية 26 من سورة ص.
7) الآية 41 من سورة الحج.
8) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد.
9) الآية العاشرة من سورة الحجرات.
10) الآية 19 من سورة النساء.
11) الآيتان 23 و24 من سورة الإسراء.
12) الآية 60 من سورة الأنفال.
13) الآية 61 من السورة السابقة.
14) خطاب عيد الشباب 88 مجلة دعوة الحق.
15) الآية 44 من سورة النحل.
16) خطاب عيد الشباب المشار إليه سابقا.
17) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المسلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

مساعدة جلالة الملك الحسن الثاني للمسلمين في يوغوسلافيا في أول مؤتمر لدول عدم الانحياز ببلغراد سنة 1961

للدكتور عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

■ هناك ثغرات في مسيرة التاريخ الدولي للمغرب ظلت مجهولة لكثير ممن مارسوا ذلك التاريخ، إما لأنها بقيت تحت الظل، أو لأن الذين كانوا يسجلون ذلك التاريخ لم يروا في ذلك ما يستحق ذلك التسجيل!

وقد كان في أبرز ما أثار انتباهي – وأنا أبحث في أرشيف بلغراد (أكتوبر 1990) أو بالحرى في الأرشيف الذي يحتفظ به مسلمو يوغوسلافيا لأنفسهم، وخاصة في سراييفو أو زغرب – كان في أبرز ما أثار انتباهي أن المسلمين هناك يتوجهون للمغرب أكثر مما يتوجهون لغيره، وهم ينشدون استرجاع ما عرفه لهم التاريخ، كنت لا أدري لماذا ذلك التوجه حتى امتزجت هناك بإخواننا، واستمعت إلى حديثهم، ووقفت على تراثهم... كانوا يجدون في المغرب المساعد الذي لا يشترط عليهم حمل شعار ما غير الشعار الذي حمله الإسلام في أيامه الأولى، بينما كان الاخرون على العكس من ذلك يحاولون أن يفرضوا عليهم أن يسيروا في ركبهم، ويحملوا نفس شعارهم.

وإن وقفة عابرة مع أرشيف «مكتبة الغازي خسرو» في سراييفو تؤكد لك عن صدق هذه المقولة، ويكفي أن نعرف عن المسجد الذي يوجد في قلب سراييفو غير بعيد عن «فندق هوليدي» المسجد الذي يحمل اسم: «جامع المغرب» في ساحة تحمل نفس الاسم: «ساحة المغرب». الأمر الذي لم نجده لجهة أخرى من الجهات التي تربطها صلة ببوسنة الهيرسك.

وسأقتصر في حديثي هذا على مرحلة حديثة محددة من التاريخ المعاصر، ويتعلق الأمر بالمناسبة التي قام فيها جلالة الحسن الثاني بأول زيارة له ليوغوسلافيا، بمناسبة انعقاد المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز، الذي انعقد في بلغراد في شتنبر 1961م.(1)

كان هذا هو اللقاء الدولي لجلالة الملك الحسن الثاني بعد أن جلس على أريكة العرش في أعقاب استشهاد والده العظيم جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، ونحن نعلم سلفا أن أول دولة في أروبا الشرقية اعتمدت سفيرها لدى جلالة الملك محمد الخامس كانت هي يوغوسلافيا، حيث وجدنا سفيرها السيد مصطفى فيلوفيتس Mustafa Vilovic يقدم أوراق اعتماده يوم رابع أبريل 1958 ممثلا للرئيس «جوزيف بروز تيتو»، الذي وجدناه يقوم بزيارة للمملكة المغربية.

وقد كان في أول الوفود التي وردت على المغرب من يوغوسلافيا وفد جامعة سراييفو في أكتوبر 1960م، لقد أبت إلا أن تشارك شقيقتها «جامعة القرويين» بفاس احتفالاتها بمناسبة مرور أحد عشر قرنا على تأسيسها، حيث مثل جامعة سراييفو زميلنا الأستاذ الدكتور مدحت بيكيتش، الذي أذكر أنه ألقى نص البرقية الرقيقة التي بعثها رئيس الجامعة.

ولقد كان من الفقرات التي وردت في الخطاب الذي استقبل به جلالة الملك الحسن الثاني الماريشال تيتو رئيس الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية يوم السبت 15 شوال 1380هـ فاتح أبريل 1961م.

«... وإن الأفكار لتتجه بنا في هذه اللحظة نحو والدنا جلالة الملك محمد الخامس – طيب الله ثراه – الذي كانت تربطه بكم روح المقاومة، والغيرة على السيادة الوطنية، ويتجاوب معكم في كثير من الأفكار التي تستهدفونها لتعزيز جانب الحرية، والديموقراطية، وصيانة كرامة الشعوب...».

ومن هنا، توالت الوفود المتبادلة بين الجهتين، وكان منها الوفود التي تمثل الطائفة الإسلامية بالجمهورية الاتحادية.

ولقد كان من الحقائق الطريفة، وأنا أتتبع نشاط جلالة الملك الحسن في بلغراد بمناسبة مشاركته في أول مؤتمر لدول عدم الانحياز في شتنبر 1961م، أتتبعه من خلال أقوال الصحف الصادرة على ذلك العهد هناك، ومن خلال الصور والوثائق التي صدرت بتلك المناسبة الفريدة من نوعها في التاريخ الدولي.

ولقد قصدت نفس الفندق الذي كان يحتضن المؤتمر المذكور «ميتروبول» Metropol.

كانت مناسبة لي لكي أعيش مع ذلك الحدث التاريخي العظيم الذي عاشته يوغوسلافيا، والذي جمع ثمانا وعشرين دولة، كان من بينها المملكة المغربية التي كانت ممثلة بجلالة الملك الحسن الثاني، الذي يلاحظ أنه كان الأصغر سنا من بين سائر الرؤساء الحاضرين، ويعتبر شاهد العيان الوحيد إلى الآن – أمد الله في عمره – من بين كل أولئك الذين غابوا عن الساحة السياسية.

لقد كنت – وأنا مهتم بالتاريخ الدولي للمغرب – معجبا بهذا اللقاء الكبير، لأنه يمثل نقطة انطلاق لإثبات هوية العالم الثالث، وكان الذي يهمني فيه أكثر من هذا: ذلك الخطاب الغني والهام الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني آنذاك – على صغر سنه وبداية تجربته على رأس دولة – كان خطابا مليئا بالأفكار الجريئة التي أثارت انتباه المشاركين في ذلك المؤتمر، بل إنه أثار تعليقات الآخرين من الذين لم يشاركوا فيه، فقد اعتبروه درسا أملي على الكبار من الصغار الذين وجهوا نداء إلى السيدين «كينيدي» و«خروشتوف» لفائدة السلام!!

لقد وجدنا المغرب كدولة تطمح لتحقيق أمانيها في إطار مستقل ومحايد، يقوم بدور فعال من أجل تأسيس حركة عدم الانحياز، والمساهمة في سائر مؤتمراتها وأعمالها، كما ينسق نشاطه الخارجي حسب القرارات المتخذة من لدن هذه المؤسسة المعروفة بالعالم الثالث، تمييزا لها عن المعسكرين المتصارعين: الشرقي والغربي.

ومن هنا كان حضور المغرب إلى جانب سبعة وعشرين من ملوك ورؤساء الدول والحكومات.

وقد ظلت مساهمة الملك الشاب جلالة الحسن الثاني في هذا المؤتمر الذي لم يكن له نظير على صعيد المجتمعات الدولية تقيم الدليل القاطع على تعلق المغرب بمبادىء العدل وعدم التبعية.

«...على أن هذا لا يعني أن مبدأ عدم الانحياز يقتضي نكران جميع الأفكار الرشيدة المثمرة البناءة الآتية من أحد المعسكرين، أو يستوجب – لكي نكون غير منحازين – أن نجهد أنفسنا أمام كل مشكلة بحثا عن حل ثالث لا يوجد عند الشرق أو الغرب. إننا نرى أن الحلول، كيفما كانت، فيها ما يقبل، وفيها ما يرفض، لكن الاختيار ينبغي أن يرتكز على الموضوعية الدائمة...».

لقد كان الوفد المغربي يتألف من الأمير الجليل مولاي عبد الله نائبا لرئيس المؤتمر، والسيد أحمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لجلالة الملك، والسيد محمد العربي العلمي كاتب الدولة للشؤون الخارجية، والسيد عبد الخالق الطريس سفير المغرب في القاهرة، والسيد محمد الشرقاوي سفير المغرب في باريز، والسيد التهامي الوزاني سفير المغرب في بلغراد، والسيد أحمد بن عبود سفير المغرب في نيودلهي، والسيد عبد اللطيف الفيلالي مدير الديوان والتشريفات الملكية، والسيد المفضل الشرقاوي مدير الديوان العسكري، والسيد أحمد السنوسي الكاتب العام لوزارة الأنباء والسياحة.

وإن من المهم عندي بهذه المناسبة، أن أثير الانتباه – كما أشرت – إلى بعض اللقطات التي فاتت على الذين تتبعوا ذلك المؤتمر، الذي سيبقى حيا في ذاكرتنا... وأقصد بها ما استطعت أن ألتقطه من خلال قصاصات الصحف والصور التي ظهرت، علاوة على ما حصلت عليه من وثائق تعتبر اليوم من مراجع المؤرخين المهتمين.

لقد كان من بين المستقبلين لجلالة الملك في مطار العاصمة آنذاك جمع من المسلمين السلافيين الجنوبيين، تعلو رؤوسهم طرابيش حمر، تلتف عليها عمائم بيضاء كشعار لقوم موجودين على تلك الأرض، يشاركون جلالة الملك فيما يشعر به إزاءهم.

لقد كان أول تصريحاته، وهو يطأ الأرض اليوغوسلافية، وسائر أجهزة الإعلام تلتقط ما يقال، وما يتردد آنذاك على ألسنة الملوك والرؤساء. قال في جملة ما قال:

«إنه لم يزر يوغوسلافيا فقط للمشاركة في مؤتمر عدم الانحياز، ولكن أيضا من أجل صلة الرحم بالمسلمين في يوغوسلافيا...»!

لقد كان لهذا التصريح من رئيس دولة مسلم أبلغ الأثر في نفوس المسلمين بيوغوسلافيا آنذاك، وقد شعر المسلمون يومئذ بأنهم في رعاية وحماية إخوانهم بالمغرب، وعلى رأسهم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

ولا ينبغي أن نمر على هذا التصريح مرورا دون أن نقف عند الظروف التي أملته، والتي جعلت منه خطابا سياسيا قبل أن يكون تصريحا صحفيا.

إن أحدا لا يجهل الصلات المتينة التي تربط الرئيس اليوغوسلافي (تيتو) والعاهل المغربي الملك الحسن الثاني، فعلاوة على أن هذه الصلات أحكمت عراها منذ أيام جلالة الملك الراحل محمد الخامس، إلا أنها أينعت واستحكمت بمرور الأيام، الأمر الذي يعبر عنه عدد الاتفاقيات المبرمة بين البلدين، والتي كانت تتناول مختلف الميادين، مما زاد في إحكام الصلات الشخصية بين الرئيس والملك.

وهنا سنرجع إلى الظروف التي كانت «الجماعة الإسلامية تعيشها آنذاك في يوغوسلافيا، لنعرف مدى تلك المساعدة التي قدمها جلالة الملك الحسن لتلك

◄

الجماعة... والتي سنعرف آثارها اليوم من خلال هذا الحديث».

ولابد من العودة قليلا إلى الوراء للتذكير بماضي تلك الجماعة الإسلامية التي يفوق عددها اليوم ستة ملايين نسمة!!

إن أحدا لا يجهل صلات المملكة المغربية التاريخية والسياسية والدبلوماسية مع الإمبراطورية العثمانية، التي ظلت بالرغم من بسط سيادتها على سائر ممالك وإيالات العالم الإسلامي، ظلت تهاب وتستحي من أن تصل إلى المغرب الأقصى، لأنه في نظرها كان البيت الشريف الذي يجب أن لا يوطأ حماه!

من هنا كان المغرب يأخذ بعين الاعتبار مركز الإمبراطورية، ومن هنا وجدناه يتقبل شفاعتها ووساطتها بكل أنواع القبول...

وقد حدث أثناء القرن الثاني عشر الهجري «الثامن عشر الميلادي» أن أقدمت بحرية جمهورية دوبروفنيك – على ساحل دالماسيا Le Dalmatie على البحر الأدرياتيك – وكانت تحت حماية الإمبراطورية العثمانية على نحو ما كانت البوسنة والهيرسك، أقدمت بحريتها على الإخلال باتفاقيتها مع طائفة من الحجاج المغاربة العائدين من الإسكندرية إلى المغرب، حيث أنزلتهم في بعض الثغور الأجنبية عوض المغربية! الأمر الذي أثار انتباه سيدي محمد بن عبد الله، فأشهر الحرب على دوبروفنيك، وهدد حركتها التجارية في البحر المتوسط...!

لكن تدخل الباب العالي جعل العاهل المغربي ينسى كل شيء لدرجة أنه خاطب حكام دوبروفنيك في إحدى رسائله بتاريخ 9 ربيع الثاني 1195هـ – 4 أبريل 1781م. بقوله: «جعلناكم تحت أماننا»، ثم خاطبهم السلطان مولاي سليمان بتاريخ 3 محرم 1213هـ – 17/6/1798م بقوله: «كل من لقي أسطولكم لا يتعرض له بسوء»!!

كل تلك الالتزامات كان يعرفها جلالة الملك الحسن الثاني، ومن هنا ساغ له أن يسأل المارشال «تيتو» عن أحوال المسلمين.

فماذا كان وضع المسلمين أوائل الستينات في يوغوسلافيا؟

لقد كانت الحرب العالمية الثانية صعبة للغاية، وقد اتسمت بمذابح في المسلمين ارتكبها الصرب الأرثوذوكس، هي وإن لم يكتب لها أن تظهر على التلفزيون، كما نشاهد المذابح اليوم، لكن التقارير تتحدث عن شراستها ووحشيتها... ولم تكن هذه المذابح مقتصرة على المسلمين وحدهم، فقد شملت الأورثوذوكس، والكاثوليك فيما بينهم.

وقد ظهر النظام الشيوعي الذي ضيق الخناق على المسلمين، فاستولى على أوقافهم العديدة والثرية باسم الإصلاح الفلاحي..!!

وفي هذه الأثناء كانت زيارة العاهل المغربي إلى بلغراد حيث لم يفته – كما كان يفعل كلما سنحت الفرصة – أن يحرك قضية المسلمين في يوغوسلافيا... وأن المراقبين والمتتبعين للحركة الإسلامية في هذه الجمهورية لم يغفلوا إطلاقا الربط بين المسعى الحميد الذي كان يقوم به جلالة الملك الحسن الثاني لدى المارشال «تيتو»، وبين الاعتراف بالشخصية الإسلامية في تلك البلاد، التي ظل أصحابها يطالبون باستمرار بالاعتراف بها في وطنهم البوسنة والهيرسك.

وهكذا، كان القرار التاريخي الذي اتخذته الحكومة اليوغوسلافية سنة 1973م، والذي تعترف فيه بالمسلمين كقومية خاصة، وكان أكبر حدث في تاريخ الإسلام بأوروبا في القرن العشرين، لأنه بمثابة قيام ولاية إسلامية في قلب أوروبا، وهي أكبر ولايات يوغوسلافيا الست مساحة.

أريد القول: إن جلالة الملك الحسن الثاني ظل وراء مسلمي يوغوسلافيا، وكان إخواننا هناك يعرفون جيدا هذه الحقيقة.

ولكي نتصور عمق التأثير الذي تركه ذلك الموقف في نفوس المسلمين هناك، ينبغي أن نذكر هنا بما ورد في المحاضرة التي ألقاها قبل سنتين أمام جلالة الملك في الدروس الحسنية الرمضانية يوم الجمعة خامس رمضان 1411هـ – 1991م العلامة اليوغوسلافي الأستاذ مصطفى تسيرتش إمام مسجد زغرب، ومدير معهد الأبحاث الإسلامية بيوغوسلافيا في موضوع «الوحدة الإسلامية».

«...لا يمكن أن تتصور – يا صاحب الجلالة – الفرحة العارمة التي شعرنا بها، وخاصة في هذه الظروف التي تمر بها يوغوسلافيا، وخاصة بالنسبة للمسلمين الذين يستعدون اليوم لتبوء مكانتهم في يوغوسلافيا الجديدة الديموقراطية...».

لقد كان مما ورد في آخر محاضرة الشيخ مصطفى تسيرتش، التماس تقدم به أمام حضرة صاحب الجلالة بإطلاق اسم «جائزة الملك الحسن الثاني» على الجائزة التي يمنحها سنويا المركز الإسلامي بيوغوسلافيا، الذي افتتح سنة 1987م، والذي يعتبر أكبر مركز إسلامي بأوروبا... قائلا:

«إن هذه المبادرة من جلالتكم هي أحسن تعبير لجيل الإسلام الجديد على عواطفكم الجياشة نحو الإسلام والمسلمين، تلك العواطف التي كانت نتيجة تربية والدكم العظيم سيدي محمد الخامس رحمه الله، الذي كان نصيرا للعلم والعلماء وللإسلام والمسلمين...».

وفي الرسالة التي رفعها في السنة الماضية إلى جلالة الملك الحسن الثاني العالم البوسناوي محمد نياز شكريج عضو مجلس النواب بالبوسنة والهيرسك، والأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية في سرايفو، الذي صرعه قبل شهور رصاص الغدر والإجرام هو وابنه الصغير محمد! تلك الرسالة التي رفعها إلى جلالة الملك الحسن الثاني يقول فيها بتاريخ 25 رمضان 1412هـ – 30 مارس 1992م، بأنه يرفعها باسم ملايين من المسلمين يعيشون في جمهورية البوسنة والهرسك، ويكونون أكثرية جموع السكان هناك، إلى مقام جلالة أمير المؤمنين ملك المغرب، عضو مجلس الأمن، ورئيس لجنة القدس المتفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويقول الشهيد شكريج:

«إن مسلمي البوسنة والهرسك لا ينسون اهتمام جلالتكم بهم عند حضوركم مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز في بلغراد سنة 1961م، وحرصكم على التعرف على أحوالهم.

لقد اتجه الصرب إلى إقامة صربيا الكبرى التي تضم البوسنة والهرسك، باعتبار أن من بين سكانها بعض الصربيين، كما اتجهت كرواتيا إلى نفس الهدف باعتبار أن من الكرواتيين من يعيش هناك!!

ولم يكن بد من أن يتجه المسلمون إلى العمل على استقلال المنطقة، وقد أيد هذا الاتجاه سكان المنطقة من الكرواتيين، إضافة إلى الصرب والعناصر الأخرى... وظهر هذا جليا في نتيجة الاستفتاء الذي أجري في المنطقة في شهر يناير 1992م تحت إشراف منظمة الوحدة الأروبية، مما كان له صدى دولي، لكن المتطرفين من الصربيين والكرواتيين الذين يريدون ضم البوسنة والهيرسيك إلى إحدى الدولتين الناشئتين دأبوا على سفك الدماء، والاعتداء على الأبرياء، بمن فيهم العلماء وأئمة المساجد والشيوخ والنساء والأطفال... ومهاجمة مساجد المسلمين والآثار التاريخية الإسلامية، ثم عمدوا إلى قطع الطرق، ومنع الغذاء والدواء والبترول...

وبذلك، يواجه سكان تلك المنطقة خطر المجاعة والإبادة من جهة، ويمتنع استقرار قوات الأمم المتحدة لأداء مهمتها الموكولة إليها في حفظ السلام من جهة أخرى.

إن مسلمي البوسنة والهرسك يتطلعون إلى مولانا في شد أزرهم، وهم لن ينسوا أبدا ما قدمتموه إليهم في محنتهم...».

هذا الزميل العزيز هو الذي كنت تعرفت عليه أثناء سفارتي الثانية ببغداد عندما كان طالبا هنا يحضر رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا حول «البوسنة والهرسك»، وهو الذي نشرت له مجلة «دعوة الحق» في أبريل 1992م بحثا عن «دور العلماء في تطوير المجتمع المسلم في أروبا الشرقية»، وهو الذي ذكرت في الصحافة، أواخر يوليه 1992م، أنه بعث إلي بخطاب يقدر فيه الموقف النبيل الذي اتخذه جلالة الملك الحسن الثاني وهو يبادر للاعتراف بجمهورية البوسنة والهرسك، ويعلن بذلك عن مناصرته للحق والعدل والإنصاف.

إن الخصوم – يقول الأخ الشهيد – يريدون أن يجعلوا – لا قدر الله – من المنطقة أندلسا أخرى! وإن مثل تلك المبادرة من جلالة الملك الذي نعرف عن مركزه الدولي هي الكفيلة بتطويق أطماع أولئك الخصوم...».

وبعد، فقد كان قصدي من هذا الحديث تسجيل حقيقة تاريخية رأيت من واجبي أن أكشف عنها هنا كدبلوماسي أتيحت له الفرصة ليقف على بعض الخفايا والقضايا التي كانت الظروف أو المصلحة تقتضي التكتم عليها، وعدم إعلانها في وقتها.

تلك الحقيقة التاريخية أن المغرب ظل ويظل وراء بعض الأحداث التي تشهدها الساحة الدولية.

وهكذا، فعلاوة على المساعي الحميدة التي تقوم بها المملكة المغربية على مرأى ومسمع من أجهزة الإعلام، فإن هناك العشرات من المساعي التي يتطوع بها المغرب في خفاء تام، وتحت سياج سميك من الكتمان، وإنما تكتشف آثارها بعد مرور وقت طويل، وفي أغلب الأحيان تكون الشخصيات التي وقع عليها الاختيار الوساطات، ممن لا تعرف لها صلة ظاهرة بالدبلوماسيين، ولا بالحكومة كذلك..! لتقوم تلك الشخصيات بواجبها، وتنتقل عبر القارات لتحقق الهدف الذي من أجله راحت.

وأعتقد أن المغرب ضرب الرقم القياسي في محاولاته لتصفية الأجواء بين أعضاء المجموعة الدولية، وبين الرؤساء بعضهم ببعض، كما ضرب الرقم القياسي في التكتم والتستر عليها:

أولا: تواضعا من المغرب، ورغبة منه في تجنب المباهاة.

وثانيا: حرصا على تحقيق النجاح لتلك الوساطات، وإعطاء الأولوية للهدف الأسمى وهو إصلاح ذات البين بين الجهات التي يعنيها الأمر.

وأعتبر من هذه الوساطات ما كانت تقوم به المملكة، وبالذات، جلالة الملك الحسن الثاني، للتخفيف عن إخواننا في أروبا الشرقية، وفي اسيا الوسطى بوسائله المتعددة، وأساليبه المتجددة.

دعوة الحق

عدد 296 ماي 1993

■

التوجيه الديني في العهد الحسني

الاستاذ:
أحمد بودهان

في شريعة الإسلام، يعتبر أمير المؤمنين «القائد الروحي» للأمة، باعتباره المدافع الشرعي عن دينها ومثلها وقيمها وكل مقدساتها، بجانب كونه القائد السياسي الساهر على تنظيم شؤونها ومصالحها الدنيوية، وذلك على أساس أنه يستمد شرعيته وقداسته وسلطته من الله تعالى، باعتباره خليفته في الأرض، وظله الذي تستظل به الرعية، للحديث: «السلطان ظل الله في الأرض».

وقد روي عن سبعة من الصحابة، هم: أبو بكرة، وأبو هريرة، وأنس، وأبو عبيدة، وعمرو ابن عمرو، وأبو بكر.

والرعية تستظل بالإمام، لأنه السلطان الحاكم والمختار عن رضا وإرادة وحرية، ورغبة من طرف هذه الرعية، عن طريق البيعة، التي هي عهد وميثاق ورباط مقدس، وعقد اجتماعي بين الطرفين، لقاء واجب كل منهما تجاه الاخر، بحيث يجب على الرعية السمع والطاعة، وعلى الراعي الدفاع عن مصالحها الدينية أولا، والدنيوية ثانيا. ومن هنا عرّف علماء الإسلام الخلافة التي تعقد لأمير المؤمنين عن طريق البيعة، بأنها: «خلافة النبوة في حراسة الدين (أولا)، وسياسة الدنيا (ثانيا).

وهذا يعني أن مهمة أمير المؤمنين، في شريعة الإسلام، مهمة مزدوجة دائما: مهمة دينية ودنيوية، مما يدل دلالة واضحة، على أن الإسلام يرفض الفصل بين السلطتين، ذلك الفصل الذي يزعمه العلمانيون كما هو معلوم، بينما الإسلام، يجمع بين طاعة الله وطاعة الرسول، وطاعة أولي الأمر، سواء تعلق الأمر بالمجال الديني، أو المجال المدني، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تاويلا﴾.(3)

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: «ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني».

وبالنسبة لأمير المومنين، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، له ميزة ثالثة عند الرعية، زيادة على الميزتين الدينية والمدنية، وهو أنه يعتبر أبا روحيا أيضا من حيث سلالته النبوية كما هو معلوم.

وإذا كان ذلك يقتضي من جلالته الاضطلاع بالمهمتين معا، الروحية والمدنية، وهذا ما يقوم به حفظه الله؛ وإذا كان الحديث عنهما حديثا طويلا، لا يتسع له المقام هنا، فإن الذي يهمنا في هذا الموضوع المتعلق بـ «التوجيه الديني في العهد الحسني» هو إعطاء نظرة موجزة، على ذلك المجهود الذي ما فتئ جلالته يبذله، في إطار المسؤولية الروحية، بالدرجة الأولى، باعتباره المسؤول الأعلى والأول، في الوطن والبلاد، حيث نجد أن الإسلام – وإن كان يوزع المسؤولية على الجميع – إلا أنه يضع الإمام الذي هو أمير المؤمنين، وخليفته في الأرض، في المرتبة الأولى. وخاصة عندما يتعلق الأمر بالتوجيه الديني، للحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته، والولد راع في مال أبيه، ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

نعم،

إن التوجيه في اللغة يعني الترشيد. الترشيد، إلى الطريق الموصلة إلى الهدف المنشود، حسيا كان هذا الهدف، أو معنويا، حتى لا يضل المعني بالأمر ويتيه ويضيع.

أما التوجيه في الاصطلاح الديني، فيعني الترشيد إلى السبيل المؤدي إلى رضا الله في اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، من أجل المحافظة على تعاليم دينه وسنة رسوله، محافظة تتسم بالوسطية والاعتدال والمرونة والتيسير، تخفيفا على العباد، دون إفراط أو تفريط، مصداقا لقوله تعالى على لسان خليله إبراهيم: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا، وما أنا من المشركين﴾.

وإذا كان مفهوم التوجيه يعني طلب الهداية للسير على الصراط المستقيم، رغبة في نيل رضا الله ونعمته، فإن الأمر يحتاج أولا – إلى طلب الهداية والتوفيق منه تعالى، وهذا لا يتأتى إلا للمؤمن الصادق السالك مسلك أهل الله، والمقتفي أثر رسول الله، كما يحتاج – ثانيا – إلى العلم والخبرة والتجربة وبعد نظر من أجل رسم خطة محكمة لهذا التوجيه، حتى يكون قائما على الحكمة المطلوبة شرعا في قوله سبحانه: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

وأمير المؤمنين الساهر الأمين، على هذا التوجيه الديني العظيم، وهبه الله تعالى هذه الصفات السلوكية والعلمية، ليكون أهلا لهذا التوجيه الديني، حفاظا على مقدسات الأمة، فهو القائد الروحي للرعية، بجانب القيادة المدنية، وهو أيضا من سلالة الرسول ﷺ. كما أن كل أجداده من ملوك المغرب منذ الأدارسة إلى العلويين، كانوا دائما محافظين على هذا الدين.

وفي هذا الصدد يقول جلالته:

«إن ملوك المغرب قد امتازوا بالحفاظ على الإسلام والدفاع عنه، واعتبروا ذلك مهمتهم الأولى، كما امتازوا بتثبيت تعاليمه في النفوس كغاية من غاياتهم المثلى، ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، وفي طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام».

وهكذا نجد أن النص الملكي هذا، يقرر الحفاظ على الإسلام، والدفاع عنه، ثم تثبيته في النفوس عن طريق التوجيه المحكم. وتلك هي مهمة ملوك المغرب عامة، والملوك العلويين خاصة.

والتوجيه الديني، يجب أن يكون توجيهاً محكماً وهادفاً وحكيماً، يقوم على أسس وقواعد وأصول، يخدم الغاية العليا للأمة، حتى لا يحدث العكس، لأن هناك دائماً من يحاول تشويه الدين، بتشويه طريقة التوجيه عمدا، فإذا بالدين يستغل لأغراض دنيئة، بدعوى المحافظة على الأصول أو الأصولية، في حين أن الأمر ليس كذلك، بل هو دعوة إلى التشتت والفوضى وإثارة الفتن بين الناس.

وهنا تبرز عبقرية جلالة الملك في قيادته الروحية هاته، المتمثلة في سياسته العليا، الخاصة بالتوجيه الديني، حيث نجد أنه حفظه الله، أقام هذا التوجيه على أسس متينة، وأصول أصيلة، تعتمد المحافظة على «الأصالة» والهوية والتراث ووحدة المذهب، ووحدة العقيدة، ووحدة الطريقة، وهو الأسس الثلاثة التي يقوم عليها التوجيه الديني في المغرب، كمنهجية اعتدالية وسطية شمولية، انطلاقاً من «العقيدة الأشعرية» عقيدة أهل السنة والجماعة، العقيدة المنسجمة مع المذهب المالكي من جهة، والطريقة الجنيدية الصوفية من جهة أخرى. كما قال الشيخ عبد الواحد ابن عاشر رحمه الله في منظومته «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»:

وبعد فالعون من الله المجيد
في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري» وفقه مالك
وفي طريقة «الجنيد» السالك

وإلى هذه الأصالة التي يقوم عليها التوجيه الديني الملتزم في المغرب، يقول جلالة الملك في إحدى خطبه، مشيراً إلى أصالة المغاربة ووحدة مذهبهم.

«علينا أن نحافظ قبل كل شيء على أصالتنا.. تلك الأصالة التي تميزنا بها منذ أن اجتاز طارق بن زياد البوغاز، إلى أن اجتاز المغاربة الصحراء...».

وفي مجال الازدواجية بين الأصالة والمعاصرة، من أجل ربط الماضي بالحاضر، ومن أجل الابتكار والإبداع، يقول جلالته:

«علينا أن نحافظ على الأصالة وعلى التراث، ولكن مع التوجه للمستقبل، وهذا التوجه للمستقبل تفرضه علينا عبقريتنا، ويفرضه علينا ماضينا. علينا إذن بمعية الأصالة، الابتكار في إطار الأصالة».

وبخصوص وحدة المذهب كأساس من أسس التوجيه الديني في العهد الحسني، يقول جلالته أعز الله أمره:

«واعلم – شعبي العزيز – أن مذهبك وسنة نبيك، ودين ربك، كل هذا يكون لك إطاراً وثيراً، عش فيه، وتربع عليه، ولا تخف في ظله من أي شيء...».

والذي يتتبع توجيهات جلالة الملك – في هذا الإطار، المتعلق بسياسة التوجيه الديني – يستنتج أن هذا التوجيه ينبني على أسس واضحة وسليمة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، في إطار وحدة المذهب والعقيدة والطريقة، مع مراعاة الاعتدال والوسطية والالتزام.

وإذا كان التوجيه الديني في المغرب، يقوم على هذه الأسس الثلاثة: العقيدة الأشعرية القائمة على المنقول والمعقول، ووحدة المذهب المالكي، والطريقة التصوفية الجنيدية السنية، وذلك منذ قرون وقرون، فإن هذا التوجيه الديني، قد تطور أسلوباً ومنهجاً ووسيلة في هذا العهد الحسني.. عهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده، الذي دعّم هذه الأسس الثلاثة في التوجيه الديني برعايته السامية لأصول هذا الدين: الكتاب والسنة كما هو معلوم، كما أنشأ حفظه الله عدة مؤسسات لتطوير هذا التوجيه الديني ومراقبته من المجالس العلمية، وإحياء الكراسي العلمية، وبناء المساجد، والاعتناء بالقيمين الدينيين، مع إعطاء توجيهاته السامية باستمرار للعلماء والوعاظ والمرشدين خلال رئاسته للدروس الحسنية الرمضانية، وفي كل المناسبات، حتى يبقى التوجيه الديني في المغرب توجيهاً سليماً وهادفاً، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، على أسس من الالتزام والاعتدال والوسطية عقيدة وشريعة وسلوكا، طبقا للتوجيهات الملكية السامية، داخل المغرب وخارجه، حفاظاً على هويتنا وأصالتنا الدينية والوطنية.

■

ليس بعشك فادرجي ...

5/5

غزوة الحديبية والاجتهاد السياسي في الإسلام

الاستاذ: محمد الحاج الناصر

■ قال «الأستاذ» الكاتب: (لم يرجع الرسولﷺ مع من رافقوه إلى المدينة من الحديبية دون أن يؤدي بعضا من مناسك العمرة حتى وهو لم يأدها حيث يجب أن تؤدى، إلخ...).

ومن أسف أن تبلغ به الجرأة على ما ليس من شأنه وما له به من علم، أن يكشف جهله ويقدمه للناس كما لو كان علما، ذلك بأنه ليس من العمرة الهدي، وإنما الهدي عبادة مستقلة، قد يقوم بها المعمر، وقد يقوم بها الحاج، وقد لا يقوم بها هذا ولا ذاك، فالمحرم الوافد على مكة، ينبغي له أن يسوق معه هديا، فإذا أحرم قلده وأشعره، سواء كان إحرامه بالعمرة أو بالحج، فإن لم يسق معه هديا، فلا جناح عليه، لكن المتمتع بالعمرة لا الحج، يجب عليه دم كما يجب لأسباب أخرى على الحاج أو المعتمر. فالهدي، إذن، ليس منسكا من مناسك العمرة، إنه منسك، لكنه مستقل بذاته، ورسول اللهﷺ إنما نحر ما معه من الهدي حين صدته قريش عن أداء العمرة، فاستعسر عليه إرسال هديه وهدي من معه إلى الحرم المكي، حيث يتعين نحره، نحره حيث هو، وذلك تشريع منهﷺ لمن أحصر مثلما أحصر هو وأصحابه، وكان معه هدي، واستعسر عليه إرساله إلى الحرم المكي حيث يتعين نحره. فالهدي، إذن، ليس منسكا من مناسك العمرة، وهو بالحج أعلق، ولكنه مع ذلك منسك لذاته، وغاية علاقته بالحج أو العمرة أنه يقلد ويشعر عند الإحرام سنة، ويساق إلى الحرم وينحر فيه. ولما كانت العمرة والحج في أغلب الأحوال تؤديان في شهري الحج، كان الوقت المعتاد لسوق الهدي، هو شهري الحج أيضا، وهذه من أبجديات مناسك الحج والعمرة، التي يظهر - في أحسن الاحتمالات - أن «الأستاذ» الكاتب قد نسيها...

قال «الأستاذ» الكاتب: (ولما أنزلت عليهﷺ سورة الفتح، قال له جبريل - عليه السلام -: نهنئك يا رسول الله، وهنأه المسلمون) إلى أن قال على لسان الصحابة (ولأنت أعلم بالله وبأمره منا).

وفي هذه الفقرة الطويلة، التي لم نر جدوى من أن نسوقها كاملة، مقولات، منها ما هو منسوب إلى جبريل - عليه السلام - ومنها ما هو منسوب إلى رسول اللهﷺ ومنها ما هو منسوب إلى بعض أصحابه - رضوان الله عليهم - ساقها كما لو كانت حديثا مطولا أو قصة طويلة يمكن اعتمادها في الحجاج، على حين أن جل ما فيها لم نقف عليه في المدونات الصحاح ولا حتى عند بعض المفسرين الذين يدرجون في تفاسيرهم كل ما بلغهم، بصرف النظر عن صحته أو عدمها، تاركين العهدة على من يسندون إليه ما يدرجون، ولا عند الإخباريين مثال ابن إسحاق والواقدي والطبري الذين أفاضوا في ذكر ما بلغهم من أحداث وقعة الحديبية ومعقباتها، لكن في المدونات الصحاح وعند بعض المفسرين، جمل من هذه الفقرة الطويلة، أصحها وأشهرها، وصف رسول اللهﷺ صلح الحديبية بأنه «فتح عظيم». والقاعدة في الحجاج السليم أن يقع الاعتماد والاستظهار فيه على ما هو ثابت موثق أو قريب من الموثق مثلما يكون في درجة «الحسن» عند المحدثين. أما الاعتماد أو الاستظهار بكل ما يقف عليه المحاج دون توثيق، فهذا ليس من المنهج العلمي في شيء.

قال «الأستاذ» الكاتب: (فيتحدث الوزير المعلم عن تنازلات والمختار يتحدث عن أعظم الفتوح، والمسلمون مع المختار معترفون بأنهﷺ أعلم وبأمره من أي كان، غير أن وزيرنا في الأحباس لم يكن في الغالب على اطلاع بما قاله المصطفى والصديق، كلا - كذا في النص المطبوع المنشور، ولا ندري ما إعرابه - على حدة عن الحديبية، وما قاله النبي وأبو بكر والذي أسهبنا في شرحه لإقناع المتلقين لدرس الوزير الرمضاني، بأن صلح الحديبية انتصار ساحق للمسلمين لا مناسبة لتقديم تنازلات دليلا عن الضعف أو قبولا لأي تراجع عن أية قناعات دينية أو سياسية في النفوس المطمئنة بالإيمان متجذرة راسخة).

يظهر أن «الأستاذ» الكاتب لا يستطيع أن يميز بين الحدث وعواقبه وبين حالة من يشهد الحدث أو يكون من عناصره عند وقوع الحدث، وحالة من يشهد عواقبه أو تباشير عواقبه، مخلط بين الوضع النفسي للمسلمين يوم الحديبية وعند تحرير وثيقة الصلح، والوضع الفكري لرسول اللهﷺ عندئذ، وبين ما أحدثه في المسلمين، نزول سورة الفتح، وبيان رسول اللهﷺ لهم بأن صلح الحديبية فتح عظيم، وكأن كل ذلك حدث في لحظة واحدة، على حين أن فترة من الزمن فصلت بين الحدث وعواقبه، أي بين صلح الحديبية ونزول سورة الفتح.

ومن أسف، أن يبلغ الجهل المطبق بهذا «الأستاذ» الكاتب حدا جعله لا يستطيع أن يتساءل ما معنى السكينة التي ذكرت ثلاث مرات في هذه السورة الكريمة، وما معنى قوله - سبحانه وتعالى - فيها أيضا: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾، فما في قلوبهم الذي علمه الله، هو أثر الحدث أو أثر نص وثيقة صلح الحديبية. والسكينة التي أنزلها الله عليهم وأنزلها على رسوله وعلى المؤمنين، كما نصت عليه السورة الكريمة، هي الطمأنينة التي تدرك المؤمن فتنقذه من اضطراب نفسي أحدثه في نفسه حدث أو ظرف، فأسعفه الله بذلك الاطمئنان ليستعصم بإيمانه بالله وثقته فيه وفي أنه لا يخلف الميعاد.

وبيان هذا المعنى الذي عجز «الأستاذ» الكاتب عن إدراكه، فخلط وخبط ما شاء له الخلط والخبط الناتجين عن الجهل المطبق في قوله - سبحانه وتعالى - في سورة الرعد | الآية: 28 ﴿الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، وقوله في سورة الزمر | الايتين: 22 - 23: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾.

ولو لم تكن قلوب الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية، في حال، تحتاج إلى ما يشكنها، ولو لم يكن قلب رسول اللهﷺ وهو أقوى الناس إيمانا في حال ليست كحال أصحابه، لكنها، أيضا، تجعل قلبه بحاجة إلى ما يسكنه، لما كان معنى لقول الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾، وقول الله تعالى: ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ وقول الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما﴾.

فالله العليم بكل شيء، ومن علمه ما في قلوب عباده المؤمنين الشاهدين لصلح الحديبية، وفي قلب رسول الله - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - هو الذي أنزل السكينة على المؤمنين وعلى رسوله، وهذه السكينة نزلت بعد صلح الحديبية، أولا: بإلهام الله - سبحانه وتعالى - رسوله بأن الله لن يخذله وبإلهام المؤمنين الذين معه بأن الله سينصرهم ولن يسلمهم لعدوهم، وثانيا: بتحويل هذا الإلهام إلى تعبير ناطق بإنزال سورة الفتح التي جعلت رسول اللهﷺ يصف صلح الحديبية بأنه فتح عظيم. والأستاذ الوزير المعلم، فعلا، وإليه يرجع الفضل في هذا الذي نعلمه «الأستاذ» الكاتب... حين استشهد بصلح الحديبية ووثيقته، على أن شريعة الله - سبحانه وتعالى - لا تمنع ولي الأمر والمسلمين معه عند التفاوض مع العدو الخارجي أو الخصم الداخلي، على تبادل التنازلات مع من يفاوضه، كان يعلم «الأستاذ» الكاتب ومن على شاكلته من الجهلة بالشريعة الإسلامية وحكمها ومقاصدها، أن الله - سبحانه وتعالى - لم يجعل شريعته صلبة جامدة، وإنما شرع لعباده ما يتيح لهم في كل ظرف، أن يتعاملوا مع مقتضياته في إطار من الحفاظ على مقاصد شريعته بصرف النظر على المناهج والأساليب التي يجدون أنفسهم بحاجة إلى سلوكها للحفاظ على تلك المقاصد، فولي الأمر والمسلمون ليسوا أجهزة صماء مثل «الروبو الالي» أو ما يسمونه بالإنسان الالي - الذي يطبق ما يؤمر به بالحرف لا يكاد يتجاوزه، إذ ليس له فكر ولا إدراك.

ولي الأمر والمسلمون في الشريعة الإسلامية، ليسوا من نمط ذلك الحارس الجاهل، الذي ذكروا أنه كان واقفا أمام

إحدى ثكنات الجيش الفرنسي، وكان اللواء قائد الثكنة غائبا عنها حين أبلغ الحارس كلمة السر التي لا يسمح بدخولها إلا لمن ينطق بها، وجاء اللواء بعد ذلك، فامتنع الحارس من أن يسمح له بالدخول، فلما قال له: أنا فلان القائد، قال له: إنك لم تقل لي كذا وكذا، فقل ذلك لي لأسمح لك بالدخول، فضحك اللواء وقال الكلمة ودخل، لكنه إذ وجد نفسه داخل الباب، عزل الحارس وأمر به إلى السجن.

ولي الأمر، خاصة، وكل مسلم، عامة، مكلف حسب موقعه في المجتمع الإسلامي، بتطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن يستوعبها ويدرك حكمها ومقاصدها، لأن ولي الأمر وكل مسلم مأمور بأن يكون بفهمه واجتهاده، منفذا لقناعته التي أدركها فأحسن إدراكها وعلم علم اليقين أو على الأقل العلم الراجح، بأنه يتصرف طبقا لأوامر الله ومقاصد شريعته. وهذا هو ما أراد الأستاذ الوزير أن يشرحه للمسلمين ليخرج بهم من التقليد الأعمى الذي يصم الشريعة الإسلامية بالجمود والصمم، إلى الأدراك الحق أو محاولة الإدراك الحق بحقائق الشريعة ومقاصدها، لكن «الأستاذ» الكاتب ضل عن هذا الفهم أو عمي عنه، ومرة أخرى نقول له قوله - سبحانه وتعالى : ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

قال «الأستاذ» الكاتب - بعد شوط طويل حاول فيه أن يلخص على هواه وقائع سنتين حافلتين بالأحداث الجسام التي غيرت وجه التاريخ بما هيأت من عناصر قيام الدولة الإسلامية الفاتحة القاهرة -: (والليالي المقبلة وحدها بكل ما تحبل به مما لم يكن في الحسبان قد لا تمثل غير دروس في العبرة أو في الاعتبار، وعندها يتأكد للوزير الألمعي المحاضر من تنازل وكيف تنازل وعم تنازل؟ إلخ...).

لم نر ما يدعونا إلى الوقوف مع «الأستاذ» الكاتب في ذلك الشوط الطويل لتمحيص ما فيه من عناصر، حاول أن يتخذ منها مادة يستمد منها سببا لمناوشة الأستاذ الوزير وحديثه، ولتأكيد إنكار ما يصر على إنكاره، من أن وثيقة صلح الحديبية، كانت مجموعة تنازلات من الطرفين المتصالحين، أراد الشارع الحكيم أن يجعل منها مرجعا يصير إليه المسلمون حين توقفهم ظروف وأحداث في موقف كموقف المسلمين يوم الحديبية أو قريب منه، لكنا وقفنا معه عند هذه الفقرة لنسأله - إن كان يستطيع أن يجيب - هل الحوادث التي أعقبت وقعة الحديبية، وما تلقطت من عناصرها، كانت ممكنة التصور للمتفاوضين أثناء التفاوض؟.

لقد كانت في قدر الله واقعة لا محالة، لكن هل كان المسلمون يعلمون ما يخبئه القدر، وهل كان رسول اللهﷺ يعلم ما في الغيب من قدر؟

ويستطيع «الأستاذ» الكاتب أن يجيب بالإيجاب مهما أوغل في التعنت، لسبب بسيط جدا، هو أنه لم يستطع أن ينكر ما أصاب المسلمين من حيرة أوشكت بعمر(ض) وهو المؤمن الأصيل الملهم من الله - سبحانه وتعالى - أن يشك في دينه، وما نجا من هذه الحيرة غير أبي بكر الصديق(ض) وعلي(ض) في بعض الروايات، وهما لم يكونا يتصور أن ما يخبئه الغيب، ولكنهما كانا واثقين من أن رسول اللهﷺ لا يقدم على ما يخالف به أمر ربه، أما رسول اللهﷺ، فلا سبيل إلى «الأستاذ» الكاتب أن يزعم أنه كان يتصور أحداث السنتين الفاصلتين بين صلح الحديبية وفتح مكة، وأنه كان يعلم غيبها بكشف من الله - سبحانه وتعالى - له عما ينطوي عليه القدر، فقد نبهناه إلى ما نص عليه القرآن الكريم، من أن رسول اللهﷺ لا يعلم الغيب (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)، وبينا لـ«الأستاذ» الكاتب أن رسول اللهﷺ تصرف في صلح الحديبية تصرف ولي الأمر الجامع بين حكمة السياسي الحصيف وبين إيمان الواثق بنصر الله، وبينا لـ«الأستاذ» الكاتب أن المتفاوضين مجبران على تبادل التنازلات، سواء تعادلا في القوة أم كان أحدهما الأقوى، وأن الضعيف نفسه إذا تنازل، فإنه يحسب حسابا لما يتنازل فيه يرجح لديه أنه سيربح في المستقبل أكثر مما خسر بالتنازل.

ونريد أن نسأل «الأستاذ» الكاتب هل كان مصطفى كمال مدركا - أو قادرا على إدراك - ما ستصير إليه تركيا، حين تنازل تنازلات مذلة أشد ما يكون الإذلال، للحلفاء المنتصرين على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وهل كان الحلفاء الذين صالحوه في وثيقة الصلح على ما حفظ لتركيا الحديثة كيانها وتخلوا عن مطامعهم - وهم المنتصرون - في تقسيمها والسيطرة على المعابر المائية في المضايق واستعادة الاستانة (إسطانبول) إلى سلطة الصليبيين، يتصورون ما ستصير إليه تركيا الحديثة على يد مصطفى كمال، ثم كيف ستكون علاقتها ببعض تلك الدول المتحالفة، أو ليست التطورات التي حدثت في تركيا من إلغاء الخلافة وإعلان اللائكية إلى الانضمام إلى الحلف الأطلسي، انتصارات تفوق ما كان يحلم به الحلفاء، انتقاما للحروب الصليبية الخاسرة وإذلالا للخلافة العثمانية المنهارة وهل كانت ألمانيا بعد انهيار الرايخ وسقوط غليوم الثاني نتيجة للحرب العالمية الأولى - تدرك ما سيصير إليه أمرها بعد القيود والأغلال التي كبلتها بها معاهدة فرساي، هل كان يمكن أن تتصور نشأة الحزب النازي وقيام هتلر بما قام به من ألوان الإذلال للمنتصرين السابقين إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، أو كان المنتصرون السابقون يتصورون أو يستطيعون أن يتصوروا ما سيصير إليه أمر معاهدة فرساي وأمر ألمانيا المنهارة عند عقدها وأمر العالم قاطبة بعد عشرين عاما فحسب. ثم ما لنا نذهب بعيدا، لماذا لا نقف عند الحرب العالمية الثانية، فلعل «الأستاذ» الكاتب، إن كان علمه بتاريخ الأمس محدودا وغير واضح، يكون أقرب استعدادا إلى استذكار أو تفهم بعض أحداث التاريخ المعاصر، لذلك نسأل «الأستاذ» الكاتب هل كان ونسطون تشرشل وفرانكلين روزفلت، حين وقعا مع جوزيف ستالين اتفاقيات ومحاضر بوتسدام ويالطا، يتصور ان أو يتصر ستالين ما سيصير إليه أمر العالم وأمر العلاقات بينه وبينهما خلال عشر سنين من الموتمرين المشار إليهما انفا. هل كان أحد الفريقين يستطيع أن يتصور تطور الإمكانات النووية لكليهما، أم تطور الوضع الاستراتيجي في الشرق الأقصى وحرب الكوريتين ثم حرب الفيشام، بل تطور الأوضاع في الصين وهزيمة تشانج كايتشك وانتصار ماو تسي تونج.

ما من أحد مهما يبلغ به الهوج، يمكن أن يدعي أن الولايات المتحدة وبريطانيا التي كانت عظمي يومئذ، تصورتا بعضا مما لقيتاه من حليفهما السابق ستالين وهما توقعان ما وقعتا معه من اتفاقيات من بين أحكامها تقسيم ألمانيا المهزومة إلى مقاطعات تحكمها الدول الحليفة والاتحاد السوفياتي، كل واحدة من هذه الدول تنفرد باحتلال مقاطعة، وتتفق الدول الحليفة أمريكا وبريطانيا وفرنسا، على حكم مشترك لمقاطعاتها، في حين ينفرد الاتحاد السوفياتي بحكم ألمانيا الشرقية بل إن ألمانيا نفسها حين وقعت اتفاقية الهدنة وتنازلت عن كل شيء تقريبا، والذين وقعت معهم اتفاقية الهدنة، حلفاء الأمس أعداء اليوم، يستطيع أن يتصور بعضا مما تطورت إليه الأوضاع في ألمانيا تطورا مذهلا، لم يعد لألمانيا وحدتها فحسب، بل وضعها في سلم التحول التدريجي إلى قوة اقتصادية عملاقة تمد إليها روسيا المنتصرة بالأمس يدها مستجدية وتخشى الدول الثلاثة الحليفة من تعاظمها الاقتصادي، خشية يتزايد روعها في الوجدان الأمريكي والبريطاني حتى الان، لأنه السند الأقوى للاتحاد الأوروبي الناشيء، وأحد المصادر المؤثرة أعمق التأثير في المستقبل المجهول للدولار.

هذه بعض الأمثلة، نأمل أن تكشف الغطاء عن بصر وبصيرة «الأستاذ» الكاتب، لعله يستطيع أن يكتشف الفرق بين التنازل وبين معقبات التنازل، وعندئذ فحسب، يتبين أن الأستاذ الوزير كان في حديثه مستلهما - إلى جانب فقهه بحكم التشريع ومقاصده - ما يجب استلهامه من عبر التاريخ القريب والبعيد.

قال «الأستاذ» الكاتب - بعد أن أوجز مقدمات فتح مكة من بعض كتب السيرة التي يصدر عنها، وليس من مدونات الصحاح -: (وكان أن تبين مدى الفطنة التي تحلى بها المختار عندما مهد يوم الحديبية ليوم مشهود تاريخي له مغزاه ودلالته ولونه الخاص، إنه يوم تحقيق الفتح المبين الذي غير الأوضاع المادية والقيم المعنوية في الجزيرة العربية حينها رأسا على عقب، وكان أن فضحت الأحداث وسيرانها لصالح المصطفى وأتباعه، ما ادعاه الوزير من تنازلات قدمهاﷺ في زعمه للمغرضين الظلمة المفسدين، وكان على الوزير ولا يزال أن يشير ولو من طرف خفي، إلى الفتوحات الباهرة التي حققها المسلمون في عهدنا الراهن وهم المتخصصون بقيادة زعمائهم في تقديم تنازلات تلو أخرى أملا في الظفر بغنائم تداني أو تقارب ما انتهى إليه المختار من انتصارات ذاركة الزمان حتى الان مرددة لها حافظة واعية).

ليث شعري أكان «الأستاذ» الكاتب في صحوة طبيعية من عقله أم كان في حال غير طبيعي؟ وهو يكتب هذه الفقرة، ناقض نفسه، أولا: حين أقر بأن ما حدث من انتصارات رسول اللهﷺ والمسلمين بعد صلح الحديبية، كان نتيجة لفطنة رسول اللهﷺ، وكان من قبل يزعم أن رسول اللهﷺ صدر في صلح الحديبية عن وحي، وأن الوثيقة ليس فيها أي تنازل، لأنها حررت تباعا للوحي، وتنفيذا له. هذا معنى مجموع ما قاله عن الوثيقة محاولاً أن ينفي عن رسول اللهﷺ أن يكون قد تنازل لمفاوضيه بشيء. وفجأة، اعترف بأن وثيقة الصلح هذه التي كانت من قبل في كلامه تنفيذاً لوحي، إنما هي من فطنة رسول اللهﷺ، وأن ما عقبها من انتصارات لدين الله، كان نتيجة شاهدة على فطنته ﷺ، وهو يملي ويوقع تلك الوثيقة، ونحن معه في هذا القول، لكنها نشفق عليه من هذا الموقف المذل لعقله والدال على مدى اضطراب فهمه، بما عبر عنه صراحة من مناقضته لنفسه. ثم جاء ببدع من القول، ثانيا ، لا نعرف أحداً عاقلاً في الدنيا، مهما بلغت بساطة عقله، يساوقه عليه، ذلك إذا كنا نفهم اللغة العربية، وكان «الأستاذ» الكاتب يكتب بها، ذلك أنه زعم أن فتح مكة وما سبقه وما لحقه، كان تكذيبا لادعاءات الأستاذ الوزير في ما قال به، في أن صلح الحديبية كان عملاً سياسياً بكل ضوابط العمل السياسي، من وصول المفاوضات بين فريقين متخاصمين إلى تبادل التنازلات.

الأستاذ الوزير ألقى درسه في الخامس من رمضان من عام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية، وفتح مكة كان في رمضان أيضا – ويظهر أن هذا مصدر الالتباس الذي وقع فيه الأستاذ: الكاتب لكن في العام الثامن من الهجرة النبوية.

وعملية حسابية بسيطة توضح مدى خلط «الأستاذ» الكاتب وخبطه، فإذا طرح طفل في المدرسة الابتدائية، ثمانية من واحد عشرين، بقي لديه ثلاثة عشر مضافة إلى أربعمائة وألف، وهذا يعني أن فتح مكة، الذي وقع قبل درس الأستاذ الوزير بثلاثة عشر وأربعمائة وألف عام، جاء فضيحة لما ادعاه الأستاذ الوزير بعد وقوعه بثلاثة عشر وأربعمائة وألف عام.

أناشد القراء أن يتدبروا مليا، هل يجدون تأويلا لهذا الخلط لم أستطع الاهتداء إليه، واقعة تقع بعد أربعة عشر قرناً وثلاثة عشر عاما من حادثة جليلة غيرت وجه التاريخ العالمي العام لتكون هذه الحادثة مجرد فضيحة لتلك الواقعة، اللهم إني لم أعد أفهم شيئا. ثم ماذا يريد «الأستاذ» الكاتب بقوله: (وكان على الوزير ولا يزال أن يشير ولو من طرف خفي، إلى الفتوحات الباهرة التي حققها المسلمون في عهدنا الراهن وهم المتخصصون بقيادة زعمائهم في تقديم تنازلات تلو أخرى أملا في الظفر بغنائم تداني أو تقارب ما انتهى إليه المختار من انتصارات ذاكرة الزمان حتى الآن مرددة لها حافظة واعية). هل كان يسخر من جيمع وقائع التاريخ الإسلامي الحديث منذ انهيار الخلافة العثمانية غداة الحرب العالمية الأولى وانعقاد المؤتمر الإسلامي الأول في باريس بقيادة السيد عبد الحميد الزهراوي إلى الان، وهي كثيرة جدا، لا يتسع هذا المجال لتقييمها واحدة واحدة، وكان يصف جميع قادة الحركات التي أفرزت تلك الوقائع والأحداث دون استثناء، وإذن، فهو يسخر – في من تشملهم سخريته – بجميع قادة تحرير المغرب، وفي مقدمتهم قائدهم الأعلى صاحب الجلالة أمير المؤمنين محمد الخامس – رحمه الله – ثم بمن بعده ممن خلفه في قيادة المغرب وتطوير استقلاله والإسهام في قيادة جهاد الأمة الإسلامية من أجل استكمال تحررها السياسي والاقتصادي والثقافي بقيادة جلالة الحسن الثاني – رحمه الله – ثم بقيادة جلالة الملك محمد السادس – نصره الله وأيده –.

ونظن أن من بين من أسهموا في حركات التحرر التي خاضتها وتخوضها أقطار العالم الإسلامي أناساً وقادة، يكن لهم «الأستاذ» الكاتب بعض التقدير والاحترام، بيد أنه حشرهم مع جميع الذين سخر منهم، من أمثال : الشيخ محمد عبده، والدكتور عبد الحميد سعيد، والشيخ الحاج أمين الحسيني، والأستاذ حسن البنا، والسيد محمد علي جناح، والسيد أحمد سوكارنو، وجلالة الملك فيصل الأول، والملك عبد العزيز ال سعود، والأمير شكيب أرسلان، والشيخ عبد العزيز الثعالبي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والدكتور عبد الرحمان شهبندر، والسيد شكري القواتلي، والأستاذ رياض الصلح، والشيخ شعيب الدكالي، والاستاذ علال الفاسي، والأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، وجمهرة من أمثال هؤلاء تعاقبوا على قيادة أقطار العالم الإسلامي طيلة تسع وسبعين عاما، لهم مواقف مختلفة كل طبقا للظروف التي واجهها وهو يقود معركة تحرير القطر الذي يقوده أو يسهم مع إخوة له في قيادة تحرير العالم الإسلامي قاطبة، وما كان كل هؤلاء – يرحمهم الله – يملكون عشر ما يملكه أعداؤهم من القوة المادية، كل قوتهم الإيمان بالله والثقة بالشعوب التي يقودونها والتوسل بمختلف الوسائل السياسية والجهادية في بعض الأحيان، تمهيداً لتفعيل الوسائل السياسية إلى تحقيق ما يسر الله على أيديهم من ألوان النصر المبين، فهل جزاء هؤلاء أن يسخر بهم من لا يعدو أن يكون نكرة غير مقصودة بالمقارنة بهم.

أنا لا أعرف في الحاضر ولا في الماضي كفرا للجميل وتبجحا به، مثل هذا الكفر والتبجح. أعاذنا الله من الخذلان.

قال «الأستاذ» الكاتب: (يتحدث الحق سبحانه عن فتح مبين ومدلوله واضح والمسؤول عن شؤون الإسلام والمحبوسات لصالح المفتقرين يتحدث عن فتح عظيم، فهل العبد المفتقر العاجز أفقه وأعلم من رب العباد الصمد الباقي الأغنى).

ويظهر أن عمق جهل «الأستاذ» الكاتب وانطباقه وتراكبه، أذهله حتى عن الاهتداء إلى التمييز بين ما هو من كلام الله الحكيم الخبير، وما هو من كلام العباد، وبين ما ينبغي التوقف عنده من الصفات التي يصف بها الله – سبحانه وتعالى – معاني أو أشخاصاً أو أحداثاً، وما لا يجب التوقف عنده من هذه الصفات، ويجوز استبداله بصفة أخرى طبقا لمقتضيات الأقوال ومقاماتها والظروف المحيطة بها.

وصف الله – سبحانه وتعالى – صلح الحديبية بقوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ في أول آية من سورة الفتح، وكلمة «مبين» هذه، لا يمكن استبدالها بكلمة أخرى في موقعها، لأنها تعني أن ما ألبس المسلمين أمرهم وأمر نصوص وثيقة صلح الحديبية، هو في الواقع مبين واضح بأنه فتح وإن خفي عن أبصارهم وبصائرهم، لقصورها عن استشراف مكنونات الغيب، فالموقع هنا يقتضي وصف الفتح بالبيان، على حين أن الأستاذ الوزير، حين تحدث عن وثيقة الحديبية وبعض ما قد يستنبط منها من اجتهادات، وصف صلح الحديبية بأنه فتح عظيم، باعتبار ما انطوى عليه من مكنونات، كانت غيباً على المسلمين عند تحرير الوثيقة وتوقيعها، ثم تتابعت لتصنع بواقعها مسار الإسلام، ومصير الدعوة الإسلامية، وتطور نشأة الدولة الإسلامية، فتبرز بكل ذلك عظمة ذلك الفتح المبين. فوصف الفتح بالعظمة في هذا الموقف، إبراز لعمق ورحابة وجلال مراحله وأطواره، وما أسفر عنه من حقائق لا سبيل إلى العثور على وصف لها بغير العظمة، فوصفها الأستاذ الوزير بالفتح العظيم. ثم لماذا اختار «الأستاذ» الكاتب الوقوف عند وصف الفتح بـ «المبين» ولم يفكر ولو للحظة – على ما يبدو – في أن السورة الكريمة، جاء وصفه مرة أخرى في اخرها بالفتح القريب.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ الآية: 27 | سورة الفتح. فلو قد فكر في ذلك وتدبره – إن كان يحفظ السورة الكريمة ويعلم بوجود هذه الآية فيها... – لأمكن أن يفتح الله عليه بشيء من الفهم أو محاولة الفهم، فيسأل نفسه أو يتساءل لماذا جاء وصف هذا الفتح في الآية الأولى بـ«المبين» وجاء في الآية الأخرى بـ«القريب»، وإذن لأمكن أن يدرك أن هنالك سرا من أسرار الإعجاز الإلاهي البياني للقران الكريم، وإن لم يستطع بلوغ إدراكه.

في الآية الأولى، كان المقصد تنبيه المسلمين إلى أن صلح الحديبية كان فتحا مبينا، وإن خفي عن أبصارهم وبصائرهم ذات المدى المحدود من الإدراك بحكم بشريتهم، وفي الآية الأخرى، كان المقصد تبشير المسلمين بأن الفتح المبين الذي وصف به صلح الحديبية هو فتح قريب، يليه فتح اخر أكبر وأبين، وهو فتح مكة، ولا توجد كلمة يمكن أن تحل محل كلمة «قريب» في تبيان الفارق الزمني بين الحدثين الجليلين، صلح الحديبية وفتح مكة، فكلمة «مبين» لا تتضمن البشرى، ولكن تتضمن الوصف، فجاءت في أول السورة تعيينا لطبيعة الفتح، وكلمة «قريب» لا تتضمن الوصف الذاتي، وإنما تتضمن الوصف الزمني، فجاءت لتعيين الإطار الزمني، وهذه من بدائع الإعجاز البياني للقران الكريم الذي لا يهتدي إليه إلا من شرح الله صدره للإسلام، وصدق الله العظيم ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾، سورة الأنعام | الآية: 104.

البعثة المحمدية : بعض من حكمها اللامتناهية

الاستاذ: التهامي محمد الوكيلي

منذ نحو أربعة عشر قرنا ونصف، ازدانت سماء الاسلام بنجم لا ككل النجوم، وسطعت في فضائها اللامتناهي شمس الحقيقة المحمدية فلم تترك ربعا ولا نفسا، ولا حسا ولاحيا من الأحياء، إلا أصابته بأنوارها المرسلة، ولا مسته بدثارها المسدل على ليل الجهل والجاهلية، والمؤذن ببزوغ إشراقة لاظلام بعدها، وقيام حق لايعود للباطل معه جولة ولا صولة، ونقول - سماء الاسلام - لأن كل النبوءات والرسالات المنزلة قبلها كانت من صميم الإسلام ذاته والحنيفية نفسها.

نعم، فالبعثة هذه المرة كانت للناس كافة لا أدنى استثناء مصداقا لقول الحق، عز وجل، ولم يزل قائلا عليما: ﴿قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، الذي له ملك السماوات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ سورة الأعراف/ الآية: 158. ولقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ سورة الفرقان/ الآية 1. وقول الله، جل وعلا: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سورة سبأ/ الآية 28.

إن البعثة المحمدية،إذن، بعثة للناس كافة، بل هي بعثة لكل خلق الله بدليل تسريبها بالسماع إلى عالم الجن فآمن بها نفر منهم تحقيقا لقول الله، عز وجل، ﴿قل أوحي إلي أن استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءانا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ سورة الجن/ الآية: 1-2. وبدليل تأييدها من لدن الملائكة والأنبياء والرسل السابقين الذين أوحى الحق، عز وجل، إليهم بمقدم الرسول الخاتم فآمنوا به وهو بعد في حكم الغيب، وأخذ الله سبحانه عليهم ميثاقا أن يصدقوا قبليا بدعوته وبأنه إمامهم مكمل دين الله،عز وجل، ومتمم نعمته على خلقه.

والبعثة المحمدية، فضلا عن عمومها وكونيتها جاءت لتحيي القلوب بعد موتها، بالمعنى الذي يفيد بأنها جاءت مصدقة لما بين يديها من بعثات الأنبياء والرسل السالفين مكملة هذه البعثات، وباعثة قوام الدين الحق من جديد بعد أن ران على القلوب بسبب مالحق بالرسالات والصحف السابقة من الضياع والتحريف والتزوير والتغيير، على أيدي نفرمن أمة فضلها الله، سبحانه، على العالمين ولكنه نكث العهد، وخان الميثاق، فكذب فريقا من الرسل وقتل فريقا آخر منهم، وعاث فسادا في الأرض حتى لم يبق فيها مرتع إلا طالته الظلمات الناجمة عن أفعال هذا النفر السوء، ألا وهو نفر من أمة بني إسرائيل، التي ورد فيها في كتاب الله العزيز ما ورد من البيان والتبيين والتفصيل.

لقد اقتضت مشيئة الحق، عز وجل، إذن، أن يبعث في الناس نبيا كلما آنس منهم نسيانا أو تناسيا لما دعاهم إليه سلفه، ويرسل إليهم رسولا كلما تجرأوا على تغيير وتحريف أو إتلاف ما ساقه إليهم بالوحي والتنزيل رسول سابق، صلاة الله وسلامه على أنبيائه ورسله أجمعين. ومن ثم فإن البعثة المحمدية جاءت لتصحح ما وقع الناس فيه من الخطأ بفعل التغيير والتحريف الذي طال الرسالات الموطئة لهذه البعثة ذاتها، ولتعيد كل شيء وكل فهم إلى أصله وحقيقته وتصدق به بعد ذلك، حتى لا يبقى للمزورين والمحرفين ولمن تبعهم عذر يتذرعون به، وحتى لايقول أحد من التابعين- هذا ما وجدنا عليه هذه الصحف والرسالات ولا يد لنا في تغييرها وتحريفها- وهذا بالذات،ماجعل كتاب الله العزيز، الشامل لرسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، ونبوءته لم ينسخ الرسالات السابقة وإنما صححها وردها إلى أصولها الأولى، بما جاء به من الحقائق المفحمة والمخرصة لمقولات جهابذة الشرك والإلحاد حتى المتذرعين منهم بنصوص الرسالات المنحولة، ففضح بطلان قولهم إن الله ثالث ثلاثة، وهو القول بالأقانيم الثلاثة، والذي لم يأت به المسيحيون وحدهم، بل سبقهم اليهود إليه بما سموه في عقيدتهم - القبالة- بالثالوث الأساس Trinité-principe وكذلك فعل قبلهم الفراعنة، والبابليون، والهنود... كل نفر منهم أخذ بهذا التثليث على نمط مخالف في القالب ولكنه مطابق مع ما أخذ به الآخرون في القلب والجوهر! كما فضح القرآن الكريم بطلان قولهم إن الملائكة إناث وهن بنات الحق، سبحانه وتعالى، عن ذلك مطلق العلو؛ وقولهم إن الله فقير وهم أغنياء، قبح من قول وقبح قائله؛ وقولهم إن المسيح بن مريم إنما هو ابن الله، بئس القول وأهله... وكثير من هذه الأباطيل جاءت البعثة المحمدية لتبطله وترده إلى أصوله الأولى لكي يظهر فساده وعقمه، فينصرف الناس عنه كافة، لا فرق فيهم بين العربي والعجمي ولا بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر إلا بما ساروا عليه من الهداية وتمسكوا به من العروة الوثقى، وتنافسوا عليه من الإحسان والبر والأعمال الصالحات بعد إيمان راسخ يحول دون الوقوع فيما وقع فيه الاولون والآخرون من الزيغ والضلال والانحراف عن الجادة وعن المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا الهالكون.

لقد كانت البعثة المحمدية بهذا المفهوم، بعثة للعالمين كلهم، بلا استثناء أو ميز أو مفاضلة، ورسالة مصححة لكل مالحق بالنبوءات والرسالات المتقدمة بين يديها من التحريف والتغيير والبتر والضياع، فضلا عن كونها بعثة مكملة للدين بعد رد نبوءاته ورسالاته وصحفه المذكورة إلى أصولها، ومتممة لنعمة الله، عز وجل، بأن جعل بين يدي عباده أجمعين كتابا وسنة لا يضل معهما أحد بعد تاريخ البعثة المحمدية ذاتها، إلا من أراد لنفسه الضلال ولمآله الخسران المبين.

وإن لنا في البعثة المحمدية لحكماً تكاد تعزب عن الأذهان، ودونها قسط غير يسير من التمعن والتأمل والتفكر وهذا بعض يسير منها على سبيل الاستئناس:

الحكمة الأولى:أن هذه البعثة قائمة على سر رباعي يستطيع العبد المؤمن أن يستشف ببصيرته علاقته الوطيدة بالعدد - أربعة- الذي جعله الخالق -جلت قدرته - عددا كاملا يفوق كل الأعداد كمالا واكتمالا، إذ جعل الله،عز وجل، جمع درجاته مساويا للعدد عشرة الذي يرمز إلى اسمه سبحانه المعيد - 1+2+3+4=10 (1).

نقول إن العدد - أربعة- كامل، وهذا ما جعله رمزا وأساسا لكمال الدين وتمام النعمة بناء على أربع رسالات - الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن- وكلهن رسالات -الدين -الذي هو عند الله- الإسلام - ولا دين غيره.

وهو نفس العدد الذي على أساسه قام بيت الله، عز وجل، الذي جعله الله قبلة لعباده المسلمين - المربع الذي يقوم عليه المكعب- ولذلك علمت الحضارات السالفة وكذا الحضارة القائمة، حاليا، أن المربع هو رمز السكون، ورمز الفضاء الأرضي، مقابل الدائرة التي ترمز إلى الحركة، وإلى الفضاء الكوني السماوي.

وهو عين العدد الذي قام عليه سر خلقة آدم، عليه السلام، وبنيه: فتخمر الطينة التي خلقه الله، عز جل، منها كان في أمد مقداره- أربعين- ليلة، وهذا العدد ما هو إلا ناتج تفاعل العدد - أربعة- مع مجموع درجاته - عشرة-؛ وأساس البنية البدنية الآدمية -أربعة- الرأس، والصدر، والبطن، والأطراف؛ وأساس الخلقة الآدمية على- أربع- آدم بلا أب وبلا أم- حواء لها أب وليست لها أم- عيسى، عليه السلام، له أم وليس له أب ثم بنو آدم بالأب والأم معا.

يفهم من هذا أن البعثة المحمدية قامت على هذا السر الرباعي العظيم والذي يمكن للمؤمن المتأمل والمتفكر أن يكتشف منه في خلق السماوات والأرض وعلاقاتهما والقوانين السائدة فيهما وفي ساكنتهما مالا يعد ولا يحصى من الأسرار والعجائب والغرائب!

الحكمة الثانية : أنها -البعثة المحمدية - رسخها ووطد دعائمها كتاب منزل تأذن الحق، عز وجل، أن يحفظه من التغيير والتحريف والعبث، ولذلك جاءت كل حروفه وكلماته وآياته وسوره وأحزابه بحساب دقيق

مطلق الدقة، وترتيب كامل مطلق الكمال، فكان لذلك آية في الإعجاز والاستحالة وسيظل، كذلك، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

الحكمة الثالثة: أن هذه البعثة جاءت على يد عبد كريم صادق أمين رؤوف رحيم ولكنه، صلى الله عليه وسلم، عبد أمي لم يسبق له، قط، أن اطلع على كتب الأولين والآخرين، ولا أن علم ما في نبوءات ورسالات الأنبياء والرسل السابقين، ولا أن درس العلوم والفلسفات وأنماط الأدب وأشكال الجدل والكلام... إلى غير ذلك مما قد يجعله محط اتهام بالنبوغ والعبقرية وبالابداع والابتكار كما سبق أن اتهم سابقوه،صلى الله عليه وسلم، من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ومعزريهم ومعاصريهم من أهل الفطنة وأولي الألباب، وهذا بالذات مانفى عنه قطعا تهمة الوضع والنحل وجعله قلبا وقالبا محط وحي العليم الخبير جل علمه وجلت خبرته.

الحكمة الرابعة: أن البعثة المحمدية، برغم ظهورها في قريش، وفي رقعة صحراوية قاحلة وفقيرة وبسيطة كل البساطة، وبرغم انتشارها – أول ما انتشرت في صفوف أناس عاديين بسطاء مستضعفين من العبيد والإماء والمساكين والسائلين.. فإنها كانت وحدها سببا في قيام أحداث جسام، وتحولات كبرى، وتفاعلات بشرية واقتصادية واجتماعية وثقافية وطنية وجهوية ودولية وطأت كلها للبعثة المحمدية ذاتها وهيأت لها كل الظروف المناسبة والملائمة لكي تكون دعوة مثمرة وموفقة منذ لحظاتها الأولى، مهما بدا حولها في البداية من الصد والمنع والمناهضة والمعاداة. ومن كان يجرؤ حتى على مجرد التفكير في أن البعثة البسيطة، في ذلك الوسط البيئي والبشري البسيط والقاحل، سيكتب لها أن تنتشر وتعم فتزعزع أركان القوى العظمى السائدة آنئذ، من الروم والفرس والإغريق وغيرهم في بلدان وأصقاع كثيرة ومختلفة ممن تفاعلت أحوالهم وقضاياهم لتكون رغما عنهم تمهيدا لازما وواجبا لبزوغ الدعوة المحمدية ووصولها إلى كل الآفاق؟!

الحكمة الخامسة: ان هذه البعثة جاءت مصدقة لما بين يديها من البعثات، ليس، فحسب من حيث مضمون هذه الأخيرة من الوصايا والتعاليم والأحكام، والشوائع، بل، أيضا، من حيث حواملها ورموزها أكثر خفاء وعمقا، فكيف ذلك؟

لقد جاءت رسالة الزبور كما تبين لنا المصادر المتاحة محمولة على أسرار الحركات ورمزياتها، ولذلك نقلت إلينا آثار القدامى الذين عاشوا قبل بعثة موسى، عليه السلام، ونزول التوراة بمعلومات تفيد بقيام العبادات السابقة على الحركات الجسدية الظاهرة والباطنة، ولذلك بقي بين أيدينا إرث قديم من تلك العبادات نجده بجلاء في ممارسات اليوغا، والزن–ZEN– والزازان –ZA ZEN– والطاوية... وغيرها من الفلسفات والمذاهب الشرقية، وكذا الافريقية(الفودو)، والتي تجعل من حركات الجسد وسيلة إلى الدخول إلى أعماق النفس الإنسانية وباطن الكون والطبيعة، سواء كانت هذه الحركات خارجية بواسطة الأطراف، أو داخلية بواسطة تنظيم التنفس، أو باطنية بواسطة التركيز العقلي.

أما رسالة التوراة، فجاءت كما نتعرف عليه من خلال القبالة اليهودية، قائمة على كتابة وتصريف قوى الحروف، والسعي من وراء ذلك إلى الاتصال بالملائكة والشياطين على السواء، وهذاما يسميه القبلانيون – سحرا ساميا–، وينسبونه ظلما وعدوانا إلى إبراهيم وموسى، عليهما السلام، ثم إلى ساحرهم المارق الذي يطلقون عليه،اسم السامري الطيب Samaritain Le bon ! ولذلك،أيضا، اهتم اليهود بالتنجيم وبالأوفاق والجداول نسجا على الاعتقاد بأن الحروف كائنات حية لها تأثيرها في كل العوامل والكائنات بما فيها الانسان.

وأما رسالة الانجيل، فقد جاءت قائمة على أسرار السلم الصوتي، ولذلك انبنت جميع طقوس المسيحيين على التراتيل وعلى التوليفات الموسيقية والتناغمات أو الهارمونيات الصوتية، وبرع رهبانهم في أنماط المناجاة المنطوقة والمنغومة واعتقدو بعد ما طال رسالتهم من التحريف بأنهم على اتصال بالقوى الخفية والعليا عن طريق الأغاني القداسية الجماعية والتي يستنهضون بها القوى غير المرئية ويمارسون من خلالها ما يعتقدونه اتصالا بالباطن وبالسماوات العلا.

وبطبيعة الحال، فقد كانت هذه الممارسات المختلفة، البدنية بالحركات، والكتابية بالحروف، والصوتية بالنغمات والأناشيد، مصحوبة بقرابين وذبائح وهدايا تقدم للمعبود الذي تحول مع ما لحق من التحريف بالرسالات المذكورة إلى شريك مع الله،عز وجل، أو بديل عنه، سبحانه وتعالى، عن ذلك مطلق العلو، وهذا ما جاءت البعثة المحمدية لتنسخه وتصححه وتجمعه إلى بعضه البعض بعد تخليصه من كل هذه الشوائب.

ولأنها بعثة إلى الناس كافة، فقد جاءت في تصديقها لما بين يديها من الرسالات المنوه عنها، جامعة لأسرار هذه الأخيرة وخباياها ورمزيتها، ولذلك جاءت الصلاة في الاسلام وباقي الشعائر الدينية التي أمر المسلمون بأدائها مشتملة على الأنماط الثلاثة السابق ذكرها (الحركي بالجسد، والحرفي بالكتابة، والصوتي بالمنطوق) ومتضمنة، في الوقت ذاته حركات مضبوطة ومعلومة، كما في الصلاة وفي شعائر الحج وتلاوة الذكر الحكيم والدعاء والذكر بأسماء الله الحسنى، وجاء القرآن الكريم نازلا في سبعة أحرف– كما ورد في الحديث النبوي الصحيح بما يفيد بأنه جاء في نمط مكتوب دقيق ومحسوب لا يمكن بأي حال من الأحوال الانتقاص منه أو الإضافة إليه، وإلا كان هذا الفعل أو ذاك جليا واضحا للعيان وللعقول والبصائر.

إن البعثة المحمدية، إذن، بتصديقها للرسالات الثلاث التي مهدت لقيامها، فإنها جمعت، في الوقت ذاته، بين أسرار تلك الرسالات ورموزها وقواها النورانية فجاءت لذلك شاملة كاملة تامة من جميع هذه الجوانب...

هذه بعض الحكم التي يسع العبد المتفكر أن يستنتجها من مسألة البعثة المحمدية، والتي لا يحيط الفكر بتعداذها ولا بأسرارها وأنماطها، إذ كلما زاد المؤمن تأملا وتدبرا إلا وبدا له منها المزيد حتى أنه قد يفني سحابة عمره ويلقى ربه دون أن يدرك منها إلا النزر القليل واليسير.. فتبارك الحق،عز وجل، وتبارك دينه القيم، وملكه العظيم، وعلمه الجامع المانع، وتباركت قدرته وإرادته ومشيئته التي جعلت من البعثة المحمدية رمز كل هذه الحكم والنعم والكمالات... وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ميثاق الرابطة
لسان رابطة علماء المغرب

جريدة أسبوعية جامعة

العدد 922
السنة 33
الجمعة
11 ربيع الثاني 1421هـ.
الموافق 14 يوليوز 2000م

المدير المسؤول :
الحاج أحمد ابن شقرون

مدير النشر: إدريس كرم

رئيس التحرير :
محمد الخضر الريسوني

العنوان: 107 شارع فال ولد عمير. رقم : 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 67.03.51 (07)
الفاكس: 67.03.51 (07)

الثمن : 3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب : مائة وخمسون درهما.
الحساب البنكي : 25201015549.01 وكالة بنك الوفاء- حي أكدال- الرباط

رقم الإيداع القانوني :
1994 / 160
الترقيم الدولي : ISSN : 4348

تصفيف وإخراج وسحب:
مطبعة فضالة - المحمدية
المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية
وتعبر عن آراء أصحابها

القواعد الذهبية لحفظ القرآن الكريم

الأستاذ:
رضوان ابن شقرون

حفظ القرآن سهل يسير على من يسره الله تعالى عليه، كما قال الله تعالى: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر". ولكن القرآن الكريم يحتاج إلى تكرار وتعهد ومراعاة أسباب التمكن والحفظ والتذكر، لأن النبي (ص) أمر بتعهد القرآن وحذر من تعريضه للنسيان فقال (ص): "تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها": -متفق عليه-

الدعاء لحفظ القرآن:

في حديث رواه الترمذي في السنن، والحاكم في المستدرك، عن سيدنا عبد الله بن عباس (ض) قال: بينما نحن عند رسول الله(ص) إذ جاءه علي بن أبي (ض) فقال: بأبي أنت وأمي، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه، فقال له رسول الله (ص):

"يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟"

قال: أجل يارسول الله ،فعلمني. قال:

إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، فقد قال أخي يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي، يقول حتى تأتي ليلة الجمعة. فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها: فصل أربع ركعات:

-تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس.

-وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان.

-وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل (السجدة).

-وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك الفصل (سورة الملك).

فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء عليه، وصل علي وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمومنين والمومنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك:

(اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني. اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لاترام، أسألك ياالله يا رحمن بجلالك ونور وجهك، أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني. اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا أالله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تنطق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تستعمل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يوتينيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

يا أبا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله. والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط. قال ابن عباس (ض): فوالله ما لبث علي إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله (ص) في ذلك المجلس فقال: يارسول الله، إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهن على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا. فقال رسول الله (ص) عند ذلك: مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن".

قواعد وشروط أساسية للحفظ:

1-إخلاص النية: بأن يكون حفظ القرآن والعناية به من أجل الله سبحانه وتعالى وحده، ثم بنية العمل به والتزام حدوده.

2-تحديد نسبة الحفظ: يجب تحديد القدر الذي يستطيع حفظه من الآيات أو الأسطر أو الصفحات في كل يوم، وعدم تجاوزه حتى يجيد حفظه إجادة تامة ويثبت في ذهنه قبل أن ينتقل إلى ما يليه.

3-مصحف واحد: يجب استعمال مصحف واحد ورسم واحد لايغيره مطلقا، ليتعاون السمع والنظر، ويقع التركيز وتألف العين مواقع الكلمات والآيات..والأفضل استعمال الرسم الشائع.

4-تصحيح النطق والقراءة: يجب تصحيح النطق بالأحرف والكلمات والجمل والآيات، ولا يكون ذلك إلا بالسماع من قارئ مجيد أو حافظ متقن، فالقرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي.

5-التسميع: يجب أن لا يعتمد على حفظه بمفرده بل يجب أن يعرض حفظه، دائما، على غيره، فقد يكون مخطئا في شيء حفظه محرفا وصار يظن من حيث لا يشعر أنه صـــواب ولا يدري أنه خطأ.

6-المراجعة المركزة: إذا أنهى الحافظ سورة أو جزءا أو حزبا لا يواصل الحفظ إلا بعد المراجعة المركزة والدقيقة والإتقان التام لما حفظه حتى يتيقن منه ويقرأه بدون أي تعتر أو خطأ أو عناء.

7-التكرار والترديد: يكثر من قراءة القدر المخصص للحفظ وتكراره وترديده، ويجب أن يكون هذا التكرار منضبطا بضوابط القراءة السليمة الجيدة كما يتلقاها الحافظ ممن يأخذ عنه. وذلك ليعمل بالسنة، أولا، وليثبت الحفظ ثانيا. ولا شك أنه مما يعين على الحفظ أن يجعل الحافظ ذلك القدر المخصص للحفظ شغله طيلة ساعات الليل والنهار، وذلك بقراءته في الصلاة السرية أو الجهرية، في الفرائض وفي النوافل، وفي أوقات انتظار الصلوات وغيرها، وفي ختام الصلاة أيضا..

8-التعهد بالمتابعة الدائمة: فالقرآن يختلف عن أي محفوظ آخر، إنه سريع الهروب من الذهن، ولابد من المتابعة الدائمة للمحفوظ والسهر الدائم عليه وتعهده، بأن يكون لحافظ القرآن الكريم ورد يومي يثابر عليه ويداوم قراءته.

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

كل نهضة ثقافية وفنية لها رواد كرام يتعهدونها بالرعاية والعناية والتوجيه لتوتي أكلها، وتظهر أفانين أزهارها.

ونهضة المغرب الفنية نمت وازدهرت بفضل رعاية أب الفنانين جلالة المغفور له الحسن الثاني المشجع الأول للمواهب المغربية، الحريص على تتبع أحوالهم وتفقد شؤونهم، وتقديم كل عون لهم ومساعدتهم ماديا ومعنويا في حالة عجزهم أو مرضهم، وباحساس جلالته المرهف، وموهبته الفنية يغمرهم بفيض من عطفه وكرمه.

ومن رحاب وجنبات القصر الملكي العامر خرجت أولى الألحان، ومنه تدفقت الإنتاجات والإبداعات التي تعد بحق الأساس الأول لنهضة الموسيقى المغربية.

وجلالة الحسن الثاني طيب الله ثراه كان يرى الموسيقى المغربية بعين الأستاذ الخبير المتفحص لزواياها وجوانبها لما له من إلمام كبير وشامل بسائر اتجاهاتها ومشاربها.

تلك ديباجة كتبتها، ونشرت ضمن عدد خاص بمجلة «الإذاعة والتلفزيون» سنة 1962 والمناسبة عيد العرش، وبحكم تواجدي وعملي بقسم البرامج في الإذاعة انذاك فقد كنت أتتبع الأنشطة الفنية والثقافية، وأجتمع مع الفنانين المبدعين... كان من بينهم المرحوم الأستاذ أحمد البيضاوي والمرحوم عبد القادر الراشدي والأستاذ عبد النبي الجيراري والمرحوم عبد الوهاب أكومي وغيرهم. ومن خلالهم، أو من خلال مشاركاتهم ومساهماتهم في الأعمال الفنية المقدمة في المناسبات الوطنية كنت أستمع إلى أحاديثهم الموثرة عن شخصية المغفور له الحسن الثاني وعطفه وحنوه الأبوي على الفنانين والمبدعين بالإذاعة والتلفزة. كان رحمة الله عليه يسأل عن حياة وصحة هذا أو ذاك منهم، وإذا مرض أحدهم كان لا يتردد في إصدار أمره السامي للأطباء للعناية به في المستشفى، وإذا كان المرض خطيرا أو مستعصيا فإنه يصدر تعليماته الكريمة لنقل المريض إلى إحدى المستشفيات المتخصصة خارج المغرب على نفقته الخاصة، وقد وقف طيب الله ثراه إلى جانب الفنانين عندما اعترض رحمة الله عليه على مسؤول كبير كان يحاول إقصاء الفنانين عن الإذاعة والتلفزة، والتعامل معهم على أساس عقدة «إنتاج» فطالبه بالعدول عن محاولته قائلا له:

- إن الفنان المبدع في المغرب ليس هو الفنان في فرنسا أو أمريكا... إن مجالات عمله تختلف في بلد نامي كالمغرب.

لقد أسر لي بهذه المعلومات الأستاذ أحمد البيضاوي الذي عاش تلك اللحظة، فلقد اغتنم فرصة زيارة جلالة المغفور له إلى مدينة وجدة في بداية الستينيات وأخبره بما يجري داخل الإذاعة، وأطلع جلالته على بعض الرسائل الموجهة من الإدارة إلى الفنانين ومعدي البرامج الإذاعية والاستغناء عن أعمالهم، الشيء الذي جعل المغفور له الحسن الثاني يستدعي وزير الأنباء انذاك ويصدر له أمره الحازم برفع هذا الجور في حق الفنانين.

كان جلالته يتابع بالاستماع أو بالمشاهدة برامج الإذاعة والتلفزة الثقافية منها والفنية، وكيف لا والمغفور له الحسن الثاني معروف برفاهة الحس، شديد الولوع بالشعر ومذاهبه، كلف بأخبار الشعراء ومعرفة طرائقهم وأساليبهم ومذاهبهم، ولم يكن ميل جلالته إلى النثر بأقل من ميله للتعبير الجميل والكتابة الفنية ارتياحه للبيت الشعري الطافح بالشعور الصادق المتجلي في أبهى الحلل، وادعاها إلى الافتتان.

هذه الصفات الجليلة كان لها أثرها العميق في رقه شعور جلالته، وطربه للنغمة العذبة، ولم يترك رحمه الله مناسبة انعقاد المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي بالرباط أيام 5 - 6 - 7 ماي 1994 دون أن يسهم فيها بتوجيهاته من خلال رسالة سامية للمتناظرين اشتملت على معلومات قيمة في مجال الموسيقى المغربية وتاريخها، وقد حضرت المناظرة واستمعت بإمعان كغيري من الإذاعيين إلى الرسالة الملكية التي أتوقف متأملا إحدى مقاطعها:

إنكم في هذا البلد الأمين تشعرون بما نوليه لفنون الموسيقى من عناية خاصة ولرجالها من خطوة بالغة ورعاية موصولة نظرا لأهميتها في ثقافتنا الوطنية وفي الثقافة العربية الإسلامية عامة، لذلك فإننا نحث النخبة النيرة من الأساتذة والمهتمين بهذا المجال على مواصلة الجهود لبلوغ النتائج التي من شأنها تحسين أساليب التلقين ورفع مستوى التعليم والسهر على جودة التكوين الموسيقى العام في مجالات التلحين والعزف والأداء والتأليف وغيره.

ذلكم هو الحسن الثاني طيب الله ثراه حبيب الفنانين وراعي النهضة الثقافية والفنية في المغرب الحديث.

الحسن الثاني

بقلم: الحسن بن محمد

من هو الحسن بن محمد

إنكم تعلمون حق العلم من هو أخوكم في الإسلام الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن، تعلمون أنه مسلم مطمئن الإسلام مؤمن قوي الإيمان. وبهذه الصفة لا يمكنه إلا أن يكون مفداماً مستمراً الإفدام ومخلصاً وصريحاً دائماً وأبداً مدى العصر والأزمان ...

... إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تبطل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار.

الحسن ابن الملوك العلويين

فليكن شعيناً موقناً بأن الحسن الثاني يحمل اسم المواطن المكتوب في هالته المذهبة الحسن بن محمد، محمد الذي جند الفرائح وهفن استقلال بلاده ووحدة ترابها. ولا يمكن أن يكون ابنه سائراً على طريقة مخالفة لما سار عليه أبوه وهو الذي قاسم منباله وكل ما جاش بصدره من عواطف نحو شعبه ومستقبل بلاده، والحسن ابن الملوك العلويين الذين جندوا أنفسهم لتوحيد التراب لا للتخلي عنه. ويستحيل أن يُكتب في صحيفتي أن ابن العلويين سار على غير طريقهم...

... فالقائم بأمرك ببطل الله ومنته وفوته

فقد أخذ الوطنية عن أكبر شيخ وأعظم أستاذ، لم يأخذها بكرياً بعفه ولا نظرياً. ولكنه مارسها مراساً جديداً صعباً طويلاً، وقد ورث من أبيه وعن أبيه الاعتزاز بمغربيته والحبالة على كيانها ... وإذا كان لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة، وبكل تواضع وبكل شكر لله، لا نهاية لمجد المغربي ولا نهاية لسيره ولا نهاية لموكبه المنتصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.